



نَفْسٌ مُطْمَئِنَّةٌ لِحَيَاةٍ طَيِّبَةٍ

المحتويات

٣	إهداء
٤	مقدمة
٦	النفس التي اطمأنت إلى ربها
١١	حين يطيب العيش بالإيمان
١٥	اليقين الذي يسكن إليه السؤال
١٩	قوة العين بتجبة الله
٢٣	حياة القلب مع الذكر والقرآن
٢٨	الصلاة وقرب المناجاة
٣٣	التوبة التي ترد النفس إلى ربها
٣٨	الرجاء في رحمة الله
٤٢	الإخلاص وراحة القصد
٤٩	التوكل الذي يمضي في الطريق
٥٥	هداية القلب حين ينزل القدر
٦٠	حزن يعرف إلى من يشكو
٦٧	الصبر في أيام المرض
٧٣	الرجاء حين يطول الطريق
٧٨	رزق حلال وقلب أمين
٨٤	الشكر الذي يجعل النعمة حياة
٨٩	القناعة حين تكف العين عن المقارنة
٩٦	العفو الذي يحرر القلب
١٠٣	طمأنينة تسكن معنا في البيت
١١٠	الإحسان الذي يطيب به عيش الناس
١١٦	الثبات حين تشتد المخاوف
١٢١	الدوام على الخير وتقلب الأحوال
١٢٨	خشية تحفظ القلب ورجاء يحمله
١٣٢	إلى ربك راضية
١٣٨	كيف ندرّب النفس على الطمأنينة
١٥٥	متابعة الطمأنينة في الحياة اليومية

إهداء

إليك، وأنت ترجو أن تجد في صلتك بالله ما يعينك على أيامك؛
في البيت الذي تحبه، والعمل الذي نتعب فيه، والحاجة التي تنتظر
قضاءها، والحزن الذي لا تحسن وصفه.

نهديك هذه الصفحات، ونحن نحتاج مثلك إلى الهداية والمغفرة
والثبات. نسأل الله أن يرزقنا وإياك فهماً يقربنا منه، وعملاً يرضاه،
وقلباً يرجع إليه في اليسر والعسر. وأن يعيننا على رؤية نعمه، وأداء
حقوق عبادته، وحمل ما يصيبنا من غير يأس من رحمته.

وإذا دعوت لنفسك، فاذكرنا ووالدينا ومن أعان على وصول
الكتاب إليك بدعوة بالمغفرة والقبول وحسن الخاتمة. لعل الله
ينفعنا بما نتعلم، ويجعل ما بقي من أعمارنا خيراً مما مضى.
جهدٌ مشتركٌ، نسأل الله فيه الإخلاص والقبول.

مقدمة

قد تكون أكثر أمورك مستقرة، ثم يقلقك ما لم يحدث بعد. وقد تكون في شدة، ويعينك إيمانك بالله على أن تصبر وتفكر وتعمل. لا تتطابق حال القلب دائماً مع ظاهر الحياة؛ فالمال يحل حاجات كثيرة، لكنه لا يجيب وحده عن خوف الإنسان وذنبه ومعنى سعيه. ولهذا نحتاج، مع إصلاح أحوالنا، إلى معرفة ما يصلح نفوسنا ونحن نعيش تلك الأحوال.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. هذا وعد يرتبط بالإيمان والعمل الصالح. وفي آخر سورة الفجر يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]. نرجو أن نكون من أهل هذا النداء، ونطلب في حياتنا ما يعيننا على الإيمان بالله والثبات على أمره.

طمأنينة النفس إلى ربها تعني أن تثق بخبره، وتعظم أمره، وترجو رحمته؛ فتجد في هذه الصلة ما ترجع إليه حين تضطرب. والحياة الطيبة تشمل ما يرزقه الله المؤمن من خير في قلبه وعمله ومعاشه. وبينهما صلة ظاهرة: حين يقل تعلقك ببناء الناس يسهل عليك أن تخلص في عملك، وحين تنفع بما رزقت تستطيع أن تنتفع به، وحين تصدق في توبتك يصبح إصلاح الخطأ ممكناً. الإيمان يوجه

العمل، والعمل الصالح يقوي الإيمان، وتظهر ثمرة ذلك في الحياة التي تعيشها.

وقد يبقى مع هذا الخير حزن أو خوف أو مرض. لا يصح أن نحكم على إيمان إنسان من ابتسامته أو من قدرته على كتمان ألمه. فالأنبياء حزنوا، وبكوا، وسألوا الله الفرج. والذي تتعلمه من هديهم أن الألم لا يقطع الصلة بالله، وأن طلب العون والسعي في الإصلاح يجتمعان مع الصبر والرضا به رباً.

نحتاج إلى هذا الفهم حين نعبد الله، وحين نكسب رزقنا، وحين نختلف مع أهلنا، وحين نفقد من نحب. فقد يعرف المرء معنى إيمانياً، ثم يختار في أثره على موقف يعيشه: كيف يتوكل وهو مسؤول عن أسرته؟ وكيف يعفو ويحفظ حقه؟ وكيف يرجو المغفرة وهو يتذكر ذنبه؟ ووضوح هذه الصلة هو الذي يجعل العلم معيناً على الحياة.

نسأل الله أن يرزقنا قلباً يعرفه، ولساناً يذكره، وعملاً يقربنا إليه، وأن يهدينا في أيامنا كلها إلى ما يحب ويرضى.

النفس التي اطمأنت إلى ربها

ما الذي تطمئن إليه النفس

من الطبيعي أن تطمئن إلى سلامة من تحب، وإلى مورد رزق
يكفيك، وإلى بيت تأمن فيه. لكن هذه الأحوال تتغير؛ وإذا صار
استقرار قلبك متوقفاً على بقاءها جميعاً كما تريد، ظلت تخشى فقدانها
حتى وأنت تنعم بها. تحتاج النفس إلى صلة بالله تستند إليها وهي
تنتفع بالنعمة وتواجه تغييرها.

وفي ختام سورة الفجر يأتي النداء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾
ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾
وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]. يشرح السعدي النفس
المطمئنة بأنها التي اطمأنت إلى ذكر الله، وسكنت إلى محبته،
وقرت عينها به. ويذكر الطبري في تفسيرها الإيمان بوعده الله

والتصديق بكرامة الآخرة.^١ فالوصف يتصل بإيمان النفس بربها ورجوعها إليه، وتظهر تمام بشارتها عند لقائه.

ولهذا لا يكفي أن يكون الإنسان هادئ الطبع حتى يكون قد حقق هذا المعنى. فقد يسكن إلى مال أخذه بظلم، أو يأمن لأنه لا يتوقع حساباً. وقد يخاف المؤمن من ذنب، فيحملة خوفه على التوبة. الفرق فيما يعتقد القلب وفيما يدعو اعتقاده إلى فعله؛ فالراحة التي تبقي الظلم لا تصلح أن تكون غاية، والندم الذي يصلحه خير وإن كان مؤلماً.

الثقة التي تعين على العمل

حين تؤمن بأن الله يعلم عملك ولا يضيع جزاء الخير، تستطيع أن تحفظ الأمانة ولو غاب الرقيب. وحين تؤمن بالآخرة، لا يصبح الربح القريب مبرراً لكل وسيلة. أنت تحتاج إلى المال، لكن حاجتك لا تجعل الخيانة طريقاً مشروعاً إليه. هكذا تؤثر الثقة بالله في قرار محدد: تترك ما حرمه، وتسعى فيما أباحه، وترجو عونه وجزاءه.

١ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير السورة ٨٩، الآية ٢٧. المصدر
٢ الطبري، جامع البيان، تفسير السورة ٨٩، الآية ٢٧. ومن طرق أثر مجاهد فيه: ابن بشار، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد. نُسب تفسير مجاهد إليه بوصفه أثراً تفسيريّاً، ولم يُجعل حديثاً مرفوعاً. المصدر

وقد يصعب القرار بعد أن يتضح حكمه. يعرف الإنسان أن عليه رد حق، ويخشى ما يترتب على الاعتراف به. هنا يحتاج إلى أكثر من معرفة الحكم؛ يحتاج إلى تصديق أن رضا الله يستحق أن يتحمل في سبيله كلفة الإصلاح. وقد يبقى خائفاً من المواجهة، لكنه لا يسمح للخوف أن يحمله على استمرار الظلم.

هذه صورة يمكن أن نفهم بها أثر الطمأنينة: لم تختف الصعوبة، لكن القلب عرف ما ينبغي أن يقدمه، ولم يعد كل احتمال سبباً لتغيير وجهته. وفي كلام ابن القيم عن الطمأنينة عناية باستقرار القلب على العلم واليقين.^٣ فما يثبت النفس هو الحق الذي عرفته، ولهذا تكون معرفة الله ووعدته وأمره أساساً في إصلاحها.

وحين يشتد الخوف تظهر حاجة القلب إلى هذه المعرفة. يروي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما موقفاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أَخْبَرَ أَنَّهُ، غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعُضَاةِ، فَتَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَتَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

٣ ابن القيم، مدارج السالكين؛ فصل تعريف الطمأنينة وصلتها بالسكينة. النص الإلكتروني في مكتبة إسلام ويب. المصدر

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سِمَرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنَمِنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ "إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلَاتًا". فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ "اللَّهُ". ثَلَاثًا وَلَمْ يَعِاقِبْهُ وَجَلَسَ.

ينتهي سؤال الرجل عند السيف الذي في يده، ويأتي جواب النبي صلى الله عليه وسلم متعلقاً بالله. هذه الثقة هي المعنى الذي يحتاج إليه القلب عند اشتداد ما يخاف؛ يعرف أن قدرة المعتدي ليست مستقلة عن تدبير ربه. وفي امتناعه عن معاقبة الرجل بعد الموقف شاهد على أن الثبات يصحبه اختيار وعفو، فلا يستحيل الخوف غضباً ينتقم به المرء لمجرد أنه قدر. نحن نرجو حفظ الله ونأخذ أسباب السلامة، ونستعين به على ألا تجرنا الشدة إلى ما لا يرضاه.

حين تتغير حالك

لا تعيش النفس على شعور واحد. قد تخشع في صلاة، ويكثر شرودك في أخرى، وقد تحسن الصبر يوماً ثم يثقل عليك حملك في

٤ البخاري، الصحيح، حديث ٢٩١٠. من حديث جابر بن عبد الله. المتن من أول الخبر بعد اسم راويه إلى نهايته؛ حذف الإسناد فقط. القائلة: وقت الظهيرة. العضاه: شجر له شوك. اخترط السيف: سلّه. صلّتا: مجرداً من غمده. المصدر

اليوم التالي. نتعلم من هذا ضعفك وحاجتك إلى الله، وتراجع ما تستطيع إصلاحه. أما أن تجعل كل تغير في شعورك حكماً على إيمانك كله، فسوف يشغلك عن العبادة نفسها وعن الأسباب التي تعينك عليها.

إذا وجدت في نفسك خيراً فاحمد الله عليه، وإذا وجدت تقصيراً فاستغفره وأصلحه. ولا تحتاج إلى أن تقرر لنفسك أنك بلغت مقام النفس المطمئنة؛ أنت ترجو هذا الخير وتسعى إليه. من كان يخاصم ليغلب يمكنه أن يتعلم الإنصاف، ومن كان يخفي خطأه يمكنه أن يبدأ برد الحق. في مثل هذه الأعمال يظهر أثر ما عرفه القلب من ربه.

ويبقى دعاؤك أن يثبتك الله على الإيمان حتي تلقاه. فالطمأنينة التي تطلبها اليوم متصلة بالرجوع الذي ترجوه غدا: تعرف ربك وتعبده في حياتك، وتسأله أن يشملك بكرامته عند موتك.

حين يطيب العيش بالإيمان

خير تعيشه في الدنيا

يقرن الله وعد الحياة الطيبة بالإيمان والعمل الصالح، فيقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وتأتي بعدها بشارة الجزاء: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. فالؤمن يرجو خير الله في حياته، ويرجو الجزاء الأتم في الآخرة.

وتكشف أقوال المفسرين جوانب هذا الخير. يذكر السعدي طمأنينة القلب وسكون النفس والرزق الحلال، ويرجح الطبري معنى القناعة، ويجمع ابن كثير في الحياة الطيبة وجوه الخير التي وردت في تفسيرها.^{٦،٧} هذه المعاني تساعدنا على فهم الوعد من غير أن نحصره في ارتفاع الدخل أو زوال المتاعب.

قد يرزق الإنسان مالاً كثيراً وينفق عمره خائفاً عليه، وقد يجد كفايته ويعرف كيف ينتفع بها ويحسن إلى أهله. المال في الحالتين

٥ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير السورة ١٦، الآية ٩٧. المصدر

٦ الطبري، جامع البيان، تفسير السورة ١٦، الآية ٩٧. المصدر

٧ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير السورة ١٦، الآية ٩٧. المصدر

له أثره، لكن حال القلب وطريقة الكسب والإنفاق تؤثر أيضاً في العيش. وكذلك الصحة: هي نعمة عظيمة نساؤها، ومع ذلك يستطيع المريض أن يجد خيراً في عبادة يؤديها، ورحمة يتلقاها، وأجر يرجوه. لا يحو هذا ألم المرض، لكنه يمنع الألم من أن يكون الوصف الوحيد لحياته.

ومن الشواهد على طيب العيش مع ضيق أسبابه شهادة ابن القيم عن شيخه ابن تيمية. قال:

«وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلباً، وأسهرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه.»^٨

يذكر ابن القيم ضيق العيش والحبس والتهديد، ثم يصف أثراً رآه مع بقاء هذه الشدائد. بهذا يوضح المشهد الفرق بين رخاء الوسائل وطيب صلة الإنسان بربه. لا نكلف كل مبتلى أن يبدو بهذه

٨ ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، الفائدة الرابعة والثلاثون من فوائد الذكر؛ طبعة دار الحديث، تحقيق سيد إبراهيم، الثالثة، ١٩٩٩، ص ٤٨ بحسب ترقيم النص الإلكتروني. شهادة المؤلف على ما شاهده من حال شيخه، وليست حديثاً نبوياً ولا أثراً عن القرون الأولى. المصدر

الصورة؛ فالناس تتفاوت في القوة، وإنما تتعلم ألا نحصر أسباب الخير في السعة الظاهرة، وألا نحكم على حياة صاحب علم وعبادة من مقدار متاعه وحده.

كيف يصل الإيمان إلى يومك

تظهر ثمرة الإيمان من خلال ما يغيره في نظرك وعملك. إذا رأيت أن رزق غيرك لا يسلبك نصيبك من فضل الله، خف اندفاعك إلى المقارنة. وإذا عرفت أن الله مطلع على جهدك، لم تصبح كلمة المدير وحدها مقياس قيمة ما صنعت. وإذا آمنت بالمحاسبة، ترددت قبل أن تؤذي ضعيفاً لا يستطيع رد الأذى.

ثم يعود العمل على حياتك بأثره. الأمانة تحفظ حقوق من يتعاملون معك، والصدق يقلل ما تحتاج إليه من إخفاء وتبرير، والرحمة تجعل البيت أرفق بأهله. وقد لا يشكرك الناس، وقد يستمر بعض النزاع رغم إحسانك، لكن الخير الذي فعلته يبقى خيراً، ورجاؤك لثواب الله يحفظ له معناه حين لا تظهر ثمرته سريعاً.

خذ مثلاً قريباً: أخطأ رجل في حق زوجته، وظل يبرر قوله حتى اتسعت الخصومة. حين يعترف ويعتذر ويغير ما يؤذيها، يكون قد فعل عملاً صالحاً، وفتح سبباً لإصلاح العلاقة. وقد تحتاج زوجته إلى وقت حتى تثق بتغيره. المطلوب منه أن يصدق ويستمر، مع

رجاء الإصلاح؛ فلا يتخذ تأخر المصالحة دليلاً على أن اعتذاره بلا فائدة.

بهذا يتبين الفرق بين ما تملكه وما ترجوه. تملك أن تجتهد في العمل المشروع، وترجو من الله القبول وحسن العاقبة. أما استجابة الناس وتفصيل الغد فلا تملكها كلها. ومن أسباب التعب أن تحمل نفسك ضمان هذه النتائج، ثم تحكم على حياتك بالفشل كلما فاتك واحد منها.

الطمأنينة وطيب الحياة

طمأنينة القلب من خير الحياة الطيبة. فالحياة تشمل عبادتك ومعاشك وعلاقاتك وما يرزقك الله فيها من خير؛ والحديث عن النفس المطمئنة يوجه النظر إلى إيمانها بربها وثباتها عليه. وصلاح القلب يعين على صلاح العمل، والعمل الصالح يتيح لهذا الإيمان أن يظهر ويقوى.

اليقين الذي يسكن إليه السؤال

أن تسأل لتفهم

قد يمر بك سؤال في الإيمان فتخاف من وجوده قبل أن تبحث عن جوابه. وربما تكتمه حتى يكبر في نفسك، مع أنه يحتاج إلى شرح واضح من عالم تثق بعلمه. المعرفة لا تنمو بكتمان ما أشكل؛ وإنما بطلب الحق، والتثبت من الجواب، والتفريق بين ما تعلمه وما لم يتضح لك بعد.

يخبرنا القرآن عن سؤال إبراهيم عليه السلام وجواب ربه:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ خُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].^٩

جاء السؤال من مؤمن قال: بلى، ثم طلب أن يشاهد إحياء الموتى ليزداد قلبه طمأنينة. وفي الجواب تعليم يوصله إلى ما سأل عنه. هذا هو المعنى الذي يبينه السعدي في تفسير الآية؛ فطلب الفهم

وزيادة اليقين باب عمل، والسؤال المحدد يعين صاحبه على الوصول إلى جواب محدد.

وما ننتفع به أن الإيمان قد يزداد بالعلم، وأن السؤال له موضوع محدد وجواب يطلبه صاحبه. فإذا أشكل عليك حديث فابدأ بثبوته ومعناه، وإذا لم تفهم آية فارجع إلى تفسيرها وسياقها. بهذه الطريقة تعرف أين يقع الإشكال، بدل أن يتحول سؤال واحد إلى حكم غامض على الدين كله أو على نفسك كلها.

ما نعلمه وما لا نعلمه

نثق بخبر الله لأنه حق، لكننا لا نعرف بذلك كل تفاصيل ما سيقع لنا. قد تدعو بالرزق وأنت موقن بقدرة الله وكرمه، من غير أن تعلم أي عمل سيتيسر لك أو متى يتسع دخلك. وقد تؤمن بحكمته ولا يتضح لك وجه الحكمة في مصيبة بعينها. الخلط بين هذين الأمرين يجعل الإنسان يعد نفسه بما لم يعده الله به، ثم يضطرب إذا لم يحدث.

حين تقول لنفسك إن الله سميع لدعائك، فأنت تعتمد على ما عرفت من أسمائه وصفاته. أما أن تقول إن هذا الطلب سيتحقق في الموعد الذي اخترته، فذلك زيادة تحتاج إلى دليل. وضوح هذا الحد يحفظ ثقتك بربك من أن تبني على توقع خاص بك؛ تدعوه

وترجوه، وتبقى محتاجاً إلى هدايته فيما تختار وإلى الصبر فيما ينتظرك.

وقد يحميك الثبوت من كلام مؤثر لا أصل له. تنتشر عبارات تعد بفرج محدد لمن كرر كلمات بعدد معين، فيتعلق بها المحتاج لشدة ما يريد. لا تحتاج إلى هذه الوعود حتى تحسن الظن بالله؛ في القرآن والسنة الصحيحة ما يعرفك بربك ويفتح لك الدعاء. اطلب مصدر الكلام قبل أن تبني عليه عبادة أو وعداً للناس.

حين يصير اليقين قراراً

أثر اليقين لا يقتصر على قدرتك على الجواب. قد تعرف أن الله يحاسب على الأمانة، ثم تعرض لك فرصة ربح يتوقف على كتمان عيب عن المشتري. هنا يظهر أثر ما تعلمته: هل يقدم لك الربح العاجل عذراً، أم يمنعك إيمانك بالحساب من الغش؟ يحتاج العلم إلى عمل يوافقه حتى لا يبقى منفصلاً عن حياتك.

وإذا ضعف عملك فلا تجعل ذلك سبباً لترك التعلم. راجع الموضوع الذي قصرت فيه، واسأل الله العون، وابحث عن السبب الذي يسهل عليك الصدق. قد تحتاج إلى ترك مجلس يشجعك على الغش، أو إلى نظام يوضح حقوق الشركاء. المعرفة تهديك إلى الواجب، والأسباب العملية تعينك على أدائه.

ومن تمام الفهم أن تطلب ما يصلح قلبك ومعاشك معاً. دعا إبراهيم لذريته بإقامة الصلاة، وبالرزق وميل قلوب الناس إليهم [إبراهيم: ٣٧]. فحاجات الحياة لا تخرجك من العبودية؛ تحملها إلى الله، وتسعى فيها بما أباح. ومع تقدمك في العلم والعمل تصبح ثقتك أرسخ، لأنك تعرف ما تؤمن به، وتعرف كيف تعيش على مقتضاه.

قرة العين بحبة الله

محبة لها طريق

يروى أنس رضي الله عنه:

«أَنَّ رَجُلًا، سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ " وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ". قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ". قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ". قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِي إِيَاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.»^{١٠}

في كلام أنس فرح بالبشارة ومعرفة بفضل من يحب وقصور عمله عن عملهم. وهكذا تمنح المحبة القلب رجاءً يدعو إلى الاقتداء؛ يحب الصالحين لما عرف من إيمانهم وعملهم، ويرجو صحبتهم وهو يسعى في الطريق الذي ساروا فيه.

١٠ البخاري، الصحيح، حديث ٣٦٨٨. من حديث أنس بن مالك؛ متن الخبر وكلام أنس في فرحه ورجائه بلفظ البخاري. المصدر

ومحبة الله تجعل الطاعة متصلة بمن تعبده وتريد رضاه. أنت تصلي لأن الله أمرك، وتتعلم في صلاتك أن تقبل عليه وترجو رحمته. وتترك الحرام تعظيماً له، وإن بقيت في نفسك رغبة فيه. لا يشترط صدق المحبة أن تزول مشقة الطاعة، لكنها تعطيك باعثاً على احتمالها والاستمرار فيها.

وقد بين القرآن طريق هذه المحبة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فاتباع الرسول ﷺ يبين ما يقربك إلى الله. لا تستغني عنه بقوة انفعالك، ولا تجعل فتور شعورك سبباً لهجره. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] يذكر السعدي ما نتصل به المحبة من معرفة الله واتباع رسوله والتقرب إليه.^{١١}

أن تعرف من تعبد

تزداد معرفتك بربك حين تتدبر ما أخبر به عن نفسه. تعرف رحمته فيقوى رجائك، وتعرف مغفرته فتعود من ذنبك، وتعرف علمه فتراقب ما تخفيه. وتنتبه إلى نعمه في حياتك؛ فالصحة والرزق

١١ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير المائدة: ٥٤؛ محبة الله ولوازمها من المعرفة والاتباع والعبادة. نقل بالمعنى. المصدر

والأهل أبواب شكر، والهداية إلى عبادته نعمة تحتاج إلى شكر كذلك.

هذه المعرفة تمنع العبادة من أن تصبح أفعالاً تؤديها وأنت لا تتفكر في معناها. حين تدعو تذكّر أنك محتاج إلى الله، وحين تستغفر تذكّر ذنباً تريد تركه، وحين تحمده تعترف بما أنعم. ومع التكرار والفهم تتقوى الصلة التي ترجوها أن يسكن قلبك إلى ربك.

وقد تسمع وصفاً لما يجده بعض العابدين، فلا تجد في نفسك مثله. انتفع بما يدعوك إلى الطاعة، ودع المقارنة التي تشغلك عن حالك. تحتاج اليوم إلى معرفة معنى ما تقرأ، أو حفظ صلاة تضيعها، أو ترك أذى يصدر منك. هذه أمور تستطيع العمل عليها، أما إحساس غيرك فلا تستطيع نسخه، ولا هو المعيار الوحيد لصدق عبادتك.

أثر المحبة فيمن حولك

تتسع العبادة للأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها، كما يبين ابن تيمية في رسالة العبودية.^{١٢} ولهذا يدخل في طاعتك صدقك وأداؤك الأمانة ورحمتك بأهلك. إذا أردت رضا الله في الصلاة، فأنت

١٢ ابن تيمية، العبودية؛ في شمول العبادة للظاهر والباطن والفرق بين الأمر الشرعي والقدر. المصدر

تحتاج إلى طلب رضاه كذلك في المال الذي نتصرف فيه وفي الضعيف الذي تملك أمره.

فمن يحب الله ويتبع رسوله يراجع معاملته، ولا يكتفي بما يشعر به في مجلس الذكر. قد يجد في العبادة أنساً ثم يغضب فيظلم؛ وعندئذ يكون من صدق طلبه أن يصلح الظلم. ومن هنا نتصل بحبة الله بطيب الحياة: تحمل الإنسان على خير ينتفع به هو ومن يعيش معه، وتمنحه سبباً للمراجعة إذا أساء.

وتبقى حبة أهلك وأصدقائك في موضعها. تفرح بهم وتحسن إليهم، لكنك لا تطيع أحداً في معصية الله إرضاء له. قد يصعب عليك رفض طلب من تحب، إلا أن هذا الحد يحفظ المحبة من أن تصير سبباً للظلم. تستطيع أن ترفض برفق، وتشرح السبب، وتبقي من المودة والإحسان ما تقدر عليه.

وتحتاج المحبة إلى ما يحددها من ذكر وتعلم وطاعة. كلما عرفت عن ربك ما يقوي رجاءك وتعظيمك، وجدت في العبادة معنى أوضح. وكلما عملت بمقتضى هذا العلم، صارت الصلة بالله حاضرة في قراراتك، وفيها يجد القلب خيراً يصحبه داخل الصلاة وخارجها.

حياة القلب مع الذكر والقرآن

ما الذي يعود إليه القلب

في أثناء يومك تتوالى عليك المطالب والأخبار، وقد تستغرق في أمر حتى تنسى ما هو أوسع منه. ترى خسارة فتغيب عنك نعم كثيرة، أو تذكّر خطأ فتظن أن لا سبيل لإصلاحه. يحتاج القلب إلى ما يرده إلى الحق كلما استولى عليه جانب واحد من الحياة.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. وفي تفسير الآية يدخل ذكر الله وتلاوة كتابه؛ فالقرآن يعرفك بربك وبوعده وأمره، والذكر يجدد إقبالك عليه.^{١٣} وعند بيان الطمأنينة بالقرآن، يذكر ابن القيم ما يجده القلب فيه من يقين يستقر إليه.^{١٤}

إذا قرأت عن مغفرة الله، عرفت أن ذنبك يدعوك إلى التوبة. وإذا قرأت الأمر بالعدل، تذكرت حق من تختلف معه. لا تصير

١٣ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير السورة ١٣، الآية ٢٨. المصدر

١٤ ابن القيم، مدارج السالكين؛ منزلة الطمأنينة، فصل حقيقة الطمأنينة. النص الإلكتروني في مكتبة إسلام ويب. المصدر

الوقائع كلها سهلة، لكنك لا تبقى محصوراً في انفعالك بها؛ صار عندك هدى ترجع إليه، وتصحح به نظرك وعملك.

ويروي البراء رضي الله عنه هذا الموقف:

«كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَإِلَى جَانِبِهِ حَصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَظْنَيْنِ فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ " تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلُ بِالْقُرْآنِ "»^{١٥}

يبين هذا الخبر شرف القرآن وما يتصل بتلاوته من السكينة. ولا ينحصر انتفاعك به في مشاهدة مثل ما شاهده الرجل؛ لك أن تقرأ وتعلم وتعمل، وترجو من الله أن يثبت قلبك به. وتبقى ثمرة القراءة في هدايتك أوسع من شعور واحد تطلبه في كل مجلس.

اللفظ ومعناه

حين تقول الحمد لله، فأنت تثني على ربك وتحمده على كماله وإنعامه. وحين تستغفره، تسأله المغفرة. وحين تقول لا إله إلا الله، تقر بأن

١٥ البخاري، الصحيح، حديث ٥٠١١. من حديث البراء بن عازب. الشطن: الحبل؛ وشظنين: حبلين. الخبر في نزول السكينة عند القرآن، ولا يدل على أن القارئ مكلف برؤية شيء خارق. المصدر

العبادة حقه وحده. هذه معان عظيمة في كلمات مألوفة، وقد يضعف انتباهنا إليها بسبب كثرة ما تجري على ألسنتنا.

يذكر ابن القيم في الوابل الصيب تفاوت الذكر بحسب اجتماع القلب واللسان، وأن أكمله ما اجتماعاً فيه.^{١٦} فاجتهد أن تفهم ما تقول، ثم رد قلبك إليه حين يشرّد. لا يلزم أن تنتظر حضوراً كاملاً حتى تبدأ؛ تستطيع أن تذكر الله، وتعلم، وتحسن حضورك مع الوقت.

ومن ثمرة الفهم أن تعرف ما يقتضيه الذكر منك. إذا استغفرت من ظلم تستطيع إزالته، فابدأ بإزالته. وإذا حمدت الله على نعمة، فاحفظها من استعمال محرم. هنا يتصل اللسان بالعمل، فلا يظل الذكر كلاماً يمر بجوار اختياراتك من غير أن تراجعها.

وتتبع الأذكار في ألفاظها وأوقاتها وأعدادها حيث ثبت ذلك في السنة. أما الوعد بأن صيغة بعدد مخترع تحقق حاجة في أيام محددة، فلا يثبت بكثرة تداوله. الدعاء والذكر عبادة، والمحتاج جدير بأن يعان على الصحيح منهما، لا أن يعلق أمله بوعده لا دليل عليه.

١٦ ابن القيم، الوابل الصيب، الفصل الأول من الفصول المتعلقة بالذكر: أنواع الذكر، ومراتبه بالقلب واللسان. النقل بالمعنى عن كلام المؤلف، لا عن المرويات التي يسوقها. المصدر

قراءة تبقى معك

قال تعالى: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. يبدأ التدبر بفهم الآية؛ تقرأ معناها في تفسير موثوق عند الحاجة، ثم تتأمل ما تدعوك إليه. وليس كل خاطر يعرض لك تفسيراً لها؛ فالمعنى يؤخذ من لغتها وسياقها وبيان أهل العلم.

قد تقرأ آية في الوفاء بالعهد، فتذكر وعداً أهملته. صار أمامك أمر واضح: أن تفني به إن قدرت، أو تبين عجزك لصاحبه. بهذا يستمر أثر القراءة بعد إغلاق المصحف؛ علمت حقاً، ثم استجبت له. ولا تحتاج كل مرة إلى معنى جديد غريب، فقد تنتفع بمعنى تعرفه حين تلتفت إلى موضعه من حياتك.

وفي خبر أبي عبد الرحمن السلمي، وهو من التابعين، اتصال بين سماع الحديث وبذل العمر في التعليم. جاء في الرواية:

«عَنْ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ " . قَالَ وَأَقْرَأُ أَبُو عَبْدِ

الرَّحْمَنُ فِي إِمْرَةٍ عُثْمَانُ حَتَّى كَانَ الْمَجَاجُ، قَالَ وَذَاكَ الَّذِي
أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا»^{١٧}

أقعده هذا العلم ليعلم الناس؛ فأصبح رجاءه في الفضل عملاً
متكرراً. حين تختار لك اتصالاً بالقرآن تستطيع مواصلته، يكون لهذا
المعنى موضع من عمرك أيضاً: نتعلم ما تحتاج إليه، ثم تنفع بما
تعلمت من تستطيع نفعه.

ولكل إنسان قدرة وحال. قد تبدأ بإتقان الفاتحة، أو بفهم سورة
تكثر قراءتها، أو بتعليم ولدك ما تعلمت. المهم أن يكون لك اتصال
بالقرآن تستطيع مواصلته، وأن تسأل عما لا تفهم، وأن يجد ما
تقرأه طريقاً إلى عبادتك ومعاملتك. عندئذ يصبحك هديه في
المواضع التي تحتاج فيها إلى الطمأنينة والتمييز وحسن العمل.

١٧ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن. أبقى أصل الحديث وتعقيب الراوي وخبر
أبي عبد الرحمن السلمي بلفظ المصدر، بعد حذف سلسلة الإسناد السابقة لعثمان.
المصدر

الصلاة وقرب المناجاة

حاجة تتجدد

قد تدخل الصلاة وفي نفسك أمر يشغلك: دين، أو مرض قريب، أو خصومة لم تنته. تقف وتقرأ وتركع وتسجد، وتسال ربك العون. ليست كل حاجاتك قد قضيت حين تسلم، لكنك عبت الله ورفعت إليه حاجتك، وتذكرت أن تدبير حياتك لا يقوم على قدرتك وحدها.

ونسلم معنى الراحة في الصلاة في هذا الخبر:

«لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَانَهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " يَا بَلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرْحَنًا بِهَا " ١٨»

الراحة التي طلبها كانت في الصلاة نفسها؛ وفيها ذكر الله وسؤاله والوقوف بين يديه. وجاء الأمر لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ

١٨ أبو داود، السنن، حديث ٤٩٨٥؛ صححه الألباني بحسب الحكم المعروض مع النص. من رواية سالم بن أبي الجعد عن رجل من الصحابة. أبقى كلامه واستدلّاه بلفظ المصدر؛ وجاء في الإسناد قول مسعر: «أراه من خزاعة». المصدر

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ [طه: ١٤]. الصلاة تجمع ذكر القلب واللسان وعبادة الجوارح، كما بين السعدي في تفسير الآية.^{١٩} ولهذا لا ينفصل طلب الراحة فيها عن معرفة من تقف بين يديه ومعنى ما تؤديه.

تتكرر الصلاة لأن حاجتك إلى ربك مستمرة. تتفرق بك الأعمال، ثم تعود إلى عبادته. وقد يكون بعض هذا الرجوع شاقاً على النفس، ولا سيما عند الانشغال؛ لكن المحافظة عليه تمنح العبادة حقها في اليوم، بدل أن تظل مؤجلة إلى فراغ قد لا يأتي.

ما تسأله في الفاتحة

تقول في كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. تعبد الله وتطلب منه العون؛ فتعرف واجبك، وتعرف أنك لا تستغني عن توفيقه. ثم تسأله الهداية. وأنت محتاج إليها في معرفة الحق والعمل به، لا في المسائل الكبيرة وحدها.

قد يظهر أثر هذا السؤال حين تختلف مع شريكك. تسأل الله الهداية، ثم يتبين لك أن بعض الحق معه. إذا أنصفته كان عملك موافقاً لما طلبته بلسانك؛ أردت أن تعرف الصواب، فلما عرفته

١٩ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير طه: ١٤؛ اجتماع عبودية القلب واللسان والجوارح في الصلاة وصلتها بالذكر. نقل بالمعنى. المصدر

استجبت له. أما إذا رفضته لأنه خالف مصلحتك، فقد وجدت موضعاً تحتاج فيه إلى مجاهدة نفسك وتجديد سؤال العون.

هذا هو وجه اتصال الصلاة بيومك. ما تقرأه فيها يعلمك إقبالاً على الله وافتقاراً إليه، وما نتعرض له خارجها يريك حاجتك إلى ذلك الافتقار. وقد تعود إلى الصلاة التالية مستغفراً من تقصيرك، أو حامداً أن أعانك على أداء حق صعب عليك.

حضور تتعلمه

من أسباب تحسين الخشوع أن تعرف معاني الأذكار، وأن تنهياً للصلاة بقدر استطاعتك، وأن تبعد ما يشغلك ويمكنك إبعاده. وإذا شرد قلبك، فردّه إلى القراءة والدعاء. لا تضيف إلى الشroud انشغلاً طويلاً بالحكم على صلاتك كلها؛ عد إلى العبادة التي أنت فيها.

وتعلم كذلك صفة الصلاة وأحكامها مما تثق به. فحسن القصد لا يغني عن صحة الأداء، والتعلم يزيل حيرة قد تفسد عليك حضورك. ثم اجمع بين العناية الظاهرة بالصلاة وبين طلب إصلاح النفس. ومن دعاء النبي ﷺ:

«اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيهَا وَمَوْلَاهَا»^{٢٠}

تسأل ربك تقوى النفس وتزكيتها، فيبقى إصلاحها متعلقًا بعونه. وهذا السؤال يصحب ما نتعلمه وتعمل به؛ فلا تستغني بجهدك عن الدعاء، ولا تجعل دعاءك عوضًا عن العمل بما عرفت.

وقال ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه:

«كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي "سَلْ". فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ "أَوْغَيْرَ ذَلِكَ". قُلْتُ هُوَ ذَاكَ. قَالَ "فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"»^{٢١}

٢٠ صحيح مسلم، حديث ٢٧٢٢؛ دعاء تزكية النفس. المقتبس مقطع متصل بلفظ الرواية. المصدر

٢١ مسلم، الصحيح، حديث ٤٨٩. من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي؛ متن الحديث بلفظ مسلم. المصدر

سمى ربيعة غايته، ثم تلقى عملاً يعينه على بلوغ ما يرجو. والمحافظة على الفرائض أصل، ثم يتقرب العبد بما تيسر له من النوافل مع حفظ سائر الحقوق. فالحجة والرجاء يجدان طريقهما إلى سجود يتكرر، ودعاء يصحبه، ومجاهدة للنفس على الاستمرار.

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]. استعن بربك على ما ينتظرك، ثم خذ بالسبب الذي تقدر عليه. من كان عليه دين، احتاج إلى السعي في قضاائه والصدق مع صاحبه. ومن ظلم، احتاج إلى إصلاح ظلمه. الصلاة تعينك على أداء هذه المسؤولية، وفيها تجدد طلب الهداية حين يعرض لك من نفسك ضعف أو هوى.

التوبة التي ترد النفس إلى ربها

مواجهة ما وقع

قد يثقل عليك خطأ فعلته، فتبحث عن راحة منه في نسيانه أو في كثرة تبريره. لكن التبرير يترك الخطأ قائماً؛ يبقى الحق في ذمتك، وتحتاج إلى الدفاع عما فعلت كلها ذكره أحد. تبدأ التوبة حين تعترف بالذنب وتسال الله المغفرة، ثم تعمل على تركه وإصلاح ما تستطيع إصلاحه من أثره.

قال آدم وزوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقال الله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]. في الدعاء اعتراف وافتقار، وفي الخبر رحمة الله بعبده وتعليمه سبيل الرجوع.

لا تحتاج إلى تهوين الذنب حتى ترجو المغفرة. يمكنك أن تقول إن ما فعلته كان ظلماً، وأن تؤمن مع ذلك بأن التوبة ممكنة. بهذا يختلف الندم النافع عن الاستغراق في احتقار النفس؛ الندم يدعوك إلى إصلاح معلوم، أما الحكم على نفسك بأنك لا تصلح لخير فقد يصرفك عن الإصلاح كله.

الصدق حين يكلفك

ويروي كعب بن مالك رضي الله عنه ما كان من صدقه وتوبته:

«أَنَّهُ لَمْ يَخْلَفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ غَيْرَ غَزْوَتَيْنِ غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ وَغَزْوَةِ بَدْرٍ. قَالَ فَأَجْمَعْتُ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحْيً، وَكَانَ قَلْبًا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ سَافَرَهُ إِلَّا ضَحْيً وَكَانَ يَبْدَأُ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ، وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِي وَكَلَامِ صَاحِبِي، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ غَيْرِنَا، فَاجْتَنَبَ النَّاسُ كَلَامَنَا، فَلَبِثْتُ كَذَلِكَ حَتَّى طَالَ عَلَى الْأَمْرِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلَا يَصِلِي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ يَمُوتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ بَتْلَكَ الْمَنْزِلَةَ، فَلَا يَكَلِمُنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا يَصِلِي عَلَيَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَقِيَ الثَّلَاثُ الْآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَةً فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَا أُمُّ سَلَمَةَ تَيْبٌ عَلَيَّ كَعْبٌ ". قَالَتْ أَفَلَا أَرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرُهُ قَالَ " إِذَا يَحْطَمُكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ ". حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْفَجْرِ آذَنَ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَكَانَ إِذَا اسْتَبَشَرَ

اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةً مِنَ الْقَمَرِ، وَكَأَيُّهَا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خَلَفُوا عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي قَبْلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَذَرُوا حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ لَنَا التَّوْبَةَ، فَلَمَّا ذُكِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ، وَاعْتَذَرُوا بِالْبَاطِلِ، ذُكِرُوا بِشَرِّ مَا ذُكِرَ بِهِ أَحَدٌ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ {الآية. ٢٢}

يكشف كلامه كلفة القرار في قلب صاحبه: اختار الصدق، ثم خاف وطال عليه الانتظار، حتى جاء الفرج. لذلك لا يصح أن نجعل الصدق وعداً براحة عاجلة؛ قيمته أنه يردنا إلى الحق ويمنعنا من إضافة كذب إلى خطأ. وكلما طالت تبعات الإصلاح، كان رجاؤنا بالله معيناً على الوفاء به.

قال الله فيهم: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]. ضاقت نفوسهم وهم يرجعون إلى الله. فلا تجعل الألم

٢٢ صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث ٤٦٧٧؛ هذه رواية مستقلة مختصرة لقصة كعب في الصحيح، وأصل القصة المطول في الحديث ٤٤١٨. نُقل المتن من بعد ذكر كعب بلفظه. يحطكم الناس: يزدحمون عليكم. آذن: أعلن وأعلم. المصدر

الذي يصحب مواجهة الذنب دليلاً على أن الرجوع لم ينفعك؛ قد تحتاج إلى تحمل تبعه كنت تؤجلها.

قد يكون في ذمتك مال أخذته، أو عمل أفسدته، أو كلام آذيت به إنساناً. يتحدد الإصلاح بحسب الحق: ترد المال، وتصحح ما يمكن تصحيحه، وتسأل أهل العلم عما يشتبه عليك في أداء حقوق الناس، ولا سيما إذا كان كشف بعض التفاصيل يزيد الأذى. المقصود أن يتحول الندم إلى توبة صادقة وإصلاح، من غير أن ترتكب ضرراً جديداً وأنت تصلح القديم.

العودة التي تغير الطريق

يحتاج ترك الذنب إلى معرفة ما يعيدك إليه. قد يكون مجلساً تستسهل فيه الغيبة، أو تعاملًا مالياً تعلم فسادَه، أو خلوة بوسيلة تضعف أمامها. إذا استغفرت ثم أبقيت كل سبب كما كان، جعلت العودة أصعب على نفسك. غير ما تقدر عليه، واستعن بمن يعينك على الخير، وجدّد العزم على الترك.

وقال كعب رضي الله عنه في أثر هذه التوبة عليه:

«فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ} إِلَى قَوْلِهِ
{وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} ٢٣

لم يبق الصدق موقفاً مضى وانتهى؛ صار اختياراً يراجعه صاحبه فيما يأتي من كلامه. من هنا نطلب للتوبة أثراً يمكن مواصلته: أمانة في خبر، ورد حق، وترك سبب يعيدنا إلى الذنب.

وإذا وقعت بعد توبتك، فتب من جديد بصدق، من غير أن تتخذ سعة المغفرة إذناً بالعودة. لا ينفعك أن تقول إنك حاولت مرة وفشلت؛ ما دام الذنب قائماً فأنت محتاج إلى تركه، وما دام باب الرجوع مفتوحاً فأنت محتاج إلى دخوله. قال الله: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، وفي تفسير الآية دعوة للمسرف إلى الإنابة والتوبة. ٢٤

٢٣ صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث ٤٦٧٨؛ كلام كعب في صدق الحديث بعد توبته، بلفظ الرواية. اختصار الآيات داخل الخبر من لفظ المصدر نفسه. المصدر
٢٤ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير الزمر: ٥٣؛ الرجاء في مغفرة الله وأسباب نيلها من التوبة والإنابة. نقل بالمعنى. المصدر

الرجاء في رحمة الله

من أين يأتي الرجاء

قد يعرف الإنسان أن عليه أن يتوب، ثم يقول: ذنبي أكبر من أن يغفر. وقد يسمع عن الرحمة فيظن أن لا حاجة إلى تغيير عمله. كلا الفهمين يعطله؛ الأول يصرفه عن الرجوع، والثاني يهون عليه البقاء فيما يضره. الرجاء يقوم على معرفة رحمة الله، ويظهر أثره في الإقبال عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي.»^{٢٥}

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. ثم تأتي الدعوة: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]. تسمع البشارة فتوجه إلى الله، وتسمع الأمر فتعمل بما دعاك إليه.

قد يكون أصعب ما في بداية الإصلاح اعتقادك أنه لن ينفع. من هنا تظهر حاجة النفس إلى الرجاء؛ لو حكمت على نفسك بأن ماضيك يمنع كل خير، فبأي باعث تنهض؟ خبر الله عن مغفرته يفتح لك مستقبلاً تستطيع أن تطيعه فيه، فلا يلزمك أن تظل على ما كنت عليه.

رجل خرج من أرض السوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا . فَقَتَلَهُ فَكَلَّ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمِنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ . فَاَنْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بَقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ . وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطٍ . فَاتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمَ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا

بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِنَّ كَانَ أَذْنِي فَهُوَ لَهُ . فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ
أَذْنِي إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ " ٢٦

اجتمع في هذا الرجوع تصديق إمكان التوبة والبدء في طريقها. لم يعرف الرجل كم بقي من عمره، لكنه عرف ما الذي ينبغي أن يتركه وإلى أين يتوجه. وهذا ما يحتاجه التائب: لا ينتظر أن يزول ثقل الماضي كله قبل أن يفعل أول عمل صحيح.

عظم ذنبه لم يجعل التوبة مستحيلة، وفتح بابها لم يجعل الذنب هيناً. وتوجيهه إلى أرض أخرى يلفت إلى أثر الصحة والبيئة في الإصلاح؛ فمن يريد تغيير مساره يحتاج إلى ما يعينه عليه. لا يلزم من ذلك أن يترك كل تائب بلده، وإنما ينظر في الأسباب التي تعيده إلى الذنب، ويطلب صحة وعملاً يساعده على مفارقتها.

رحمة لا تضيق بتصورك

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«قَدِمَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَالصَّقَتْهُ بِبَطْنِهَا

٢٦ صحيح مسلم، كتاب التوبة، حديث ٢٧٦٦، الرواية a. هذا متن الخبر المرفوع؛ أما التعقيب بعده عن قتادة عن الحسن فليس من المتن المرفوع، ولم يدخل فيه. الراهب عابد، والثاني في الرواية رجل عالم. المصدر

وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ " . قُلْنَا لَا وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا " ٢٧

يقرب هذا المشهد معنى الرحمة بما يعرفه الناس من رحمة الأم، ثم يخبرهم بأن رحمة الله بعباده أعظم، على ما يليق بجلاله. فإذا ضاق رجاؤك بسبب ذنب، فعد إلى ما عرفك به ربك من رحمته، مع صدق التوبة وترك الإساءة.

إذا كنت ترجو الرحمة لنفسك، فاحذر أن تقطع رجاءها عن غيرك. قد ترى إنساناً قد أسرف، فتحتاج إلى إنكار فعله وحفظ الناس من أذاه، لكنك لا تعلم أنه لن يتوب. أعنه على معرفة الحق حين تستطيع، ولا تجعل ماضيه حجة لرفض كل إصلاح صادق يظهر منه.

ويصحبك الرجاء حين يبطؤ تغييرك وتطول تبعات الماضي. اعتن بما تستطيع إصلاحه اليوم، وارحُ القبول وأنت تعمل، واسأل الله الثبات، فحاجتك إلى رحمته باقية بعد توبتك.

٢٧ صحيح مسلم، كتاب التوبة، حديث ٢٧٥٤؛ خبر المرأة وولدها بلفظ مسلم. وفي البخاري أصل الخبر، حديث ٥٩٩٩. المصدر

الإخلاص وراحة القصد

لمن تعمل

قد تساعد إنساناً، ثم تتألم لأنه شكر غيرك ولم يشكرك. وقد نتقن عملاً، ثم تفقد الرغبة في مواصلته لأن أحداً لم ينتبه إليه. حاجتك إلى التقدير مفهومة، لكن المشكلة تكبر حين يصبح تقدير الناس هو الذي يمنح كل خير تفعله قيمته أو يسلبه إياها.

قال النبي ﷺ:

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَىٰ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوُّهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^{٢٨}

قد يتشابه العمل الظاهر ويختلف قصد صاحبيه. فالإخلاص أن تقصد بعبادتك وجه الله، وتطلب رضاه وثوابه. حين تعلم أن الله

٢٨ البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث ١؛ ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، حديث ١٩٠٧. من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي رواية مسلم تفصيل الهجرة إلى الله ورسوله والهجرة لغرض دنيوي. وهو أصل في اعتبار المقصود بالعمل، ولا يغني حسن القصد عن مشروعية الفعل. المصدر

مطلع على عملك، يبقى لك باعث على الخير ولو خفي عن الناس أو غاب ثناؤهم.

ولا يعني هذا إسقاط حقوقك في المعاملة. تستطيع أن تعمل بأمانة وتطلب أجرك العادل، وأن تحسن إلى قريب وتمنعه من استغلالك. الأجر المتفق عليه حق، والتعاون يحتاج إلى حدود واضحة. أما أن تجعل الصلاة أو الصدقة وسيلة ليقال إنك صالح، فهذا تعلق بالثناء في العبادة، وقد جاء التحذير منه في الحديث القدسي:

«أَنَا أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشِرْكُهُ»^{٢٩}

يردك هذا التحذير إلى القصد الذي بدأت منه عبادتك. فإذا التفت قلبك إلى ثناء الناس، فجدد طلب وجه الله، وأد العمل الذي تعلم أنه يرضيه، ولو لم يعلم به من تنتظر مدحه.

٢٩ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث ٢٩٨٥. حديث قدسي، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، في ترك العمل الذي أشرك صاحبه فيه مع الله غيره. وتعلق دلالاته بالقصد المشرك في العبادة، لا بمجرد كل خاطر يدفعه العبد. المصدر

وفيما قصه النبي صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة نفر نرى الإخلاص متصلاً ببر الوالدين والعفة وأمانة المال. قال:

« انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغني قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فخلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغني قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي صلى الله عليه وسلم " وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه. ففخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك

فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا
يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ
الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَاجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتَهُمْ أَجْرَهُمْ، غَيْرَ رَجُلٍ
وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ
الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَى أَجْرِي.
فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ
وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ
بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرِكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ
فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ
الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»^{٣٠}

يتكرر في دعائهم ابتغاء وجه الله، وتبليغ صور العمل: حق والدين،
وكف نفس عن الحرام، ومال محفوظ لصاحبه. الإخلاص هنا
يفسر لماذا فعل كل واحد ما فعل حين كانت مصلحته عاجلة
تدعوه إلى غيره. وحين نراجع قصدنا نحتاج إلى هذا السؤال
العملي: هل نحفظ الحق إذا خفي العمل، وهل نكف الظلم إذا

٣٠ صحيح البخاري، كتاب الإجارة، حديث ٢٢٧٢. نقل متن قصة أصحاب الغار كما
في هذه الرواية، دون الإسناد. لا أغبق: لا أقدم شراب المساء. نأى: بعد. الغوق:
شراب المساء. سنة من السنين: شدة وجذب. تفض الخاتم إلا بحقه: كناية عن الوطء
بنكاح مشروع. فثمرت أجره: ثميته. المصدر

قدرنا عليه؟ فالعمل الخفي الذي يصلح به القلب لا ينفصل عن حقوق الخلق.

الثناء الذي يأتي بعد العمل

وعن أبي ذر رضي الله عنه:

«قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ " تِلْكَ عَاجِلُ بَشَرِي الْمُؤْمِنِ "»^{٣١}

يبين الحديث أن فرحك بشكر جاء بعد عمل الخير لا يحكم وحده بأن العمل كان رياء. يختلف من بدأ يطلب رضا الله ثم سره ثناء الناس عمن أنشأ العبادة لأجل ذلك الثناء.

وقد يمر بقلبك خاطر تحبه النفس، ثم تدفعه وتجدد قصدك. يشرح ابن رجب في حديث النية الفرق بين القصد الذي يعمل العبد عليه وخطر الرياء الذي يدفعه^{٣٢} هذه التفرقة مهمة لمن يراقب

٣١ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، حديث ٢٦٤٢، الرواية a؛ السؤال والجواب بلفظ المصدر. المصدر

٣٢ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، شرح الحديث الأول، مباحث النية المصاحبة للعمل، وخطر الرياء المدفوع، والفرح بالثناء. الموضع الإلكتروني يعرض صفحات ٨٢-٨٤ في ترقيم نسخته؛ والإحالة المعتمدة إلى شرح الحديث ومبحثه.

المصدر

نفسه؛ فلا يطمئن إلى الرياء، ولا يتحول كل خاطر عابر عنده إلى سبب لترك الطاعة.

إذا لاحظت أنك تغير عملك ليراك الناس، فارجع إلى ما أردت به وجه الله وأصلح قصدك. ولا تجعل علاج الرياء ترك الواجب أو قطع نفع يحتاجه غيرك. قد يعينك عمل صالح لا يطالع عليه أحد، لكن الأعمال العلنية لها مواضعها أيضاً؛ فالتعليم وخدمة الناس وأداء بعض الشعائر يقع أمامهم، والعبرة بما تقصد وبموافقة العمل للشرع.

مساحة للمراجعة

يتعب الإنسان حين يريد الحفاظ على صورة لا تقبل الخطأ. يستنقل النصيحة لأنها تكشف نقصه، ويبرر ما فعل حتى لا تهتز منزلته. أما إذا كان يريد أن يرضي الله، فإن ظهور الخطأ يفتح له عملاً مطلوباً: أن يصححه. قد يتألم من النقد، لكنه يستطيع أن ينظر في صدقه قبل أن ينشغل بالدفاع عن صورته.

تأمل أبا نصح ابنه بأنه يشتد في كلامه. يستطيع أن يعد النصيحة تعدياً على مكانته، أو أن يسأل نفسه: هل وقع مني ما يحتاج إلى إصلاح؟ إذا أنصف، لم تنقص أبوته؛ صار أقرب إلى العدل الذي يريد أن يربي عليه ابنه. هنا يظهر أثر إصلاح القصد في البيت، من غير حاجة إلى الحديث عن إخلاص النفس أو مدحها.

وفي الثناء على الناس يروي أبو بكرة رضي الله عنه:

«مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ - فَقَالَ "وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ" . مَرَارًا " إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مُحَالَةً فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فَلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلَا أَزِيكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ كَذًا وَكَذَا " ٣٣»

حين تشكر غيرك، سمّ ما علمت من إحسانه، ودع سريره إلى الله. تستطيع أن تقول إنه أدى الأمانة أو أحسن التعاون؛ فلا تجعل الثناء شهادة مطلقة تمنع الناس من مراجعته إذا أخطأ.

كلما استقام قصدك، خف سلطان المديح والذم على اختيارك. تفرح بالكلمة الطيبة، وتألّم من الجحود، لكنك لا تحتاج إلى إعادة تحديد قيمة عملك عند كل رأي جديد. تعرف لماذا فعلته، وتطلب من الله قبوله، ثم تنظر فيما يحتاج إلى إحسان أو تصحيح.

٣٣ مسلم، الصحيح، حديث ٣٠٠٠a. من حديث أبي بكرة في صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق؛ متن الموقف والتوجيه بلفظه. المصدر

التوكل الذي يمضي في الطريق

السعي وحدود القدرة

تعمل لتكسب رزقك، وترعى أهلك، وتخطط لما تستطيع توقعه. ثم تبقى أمور لا تملكها: قرار من نتعامل معه، وتقلب السوق، وما يعرض لك من صحة أو مرض. إذا حملت نفسك ضمان كل ذلك، لم ينته قلقك مهما أحسنت الاستعداد. تحتاج إلى بذل السبب، وإلى اعتماد القلب على الله فيما تبذله وفيما تعجز عنه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].
ويبين السعدي أن كفاية الله لعبده تجري بحكمته وتقديره؛ فلا يشترط المتوكل أن تأتي كما اختار أو في الوقت الذي استعجله.^{٣٤}
ويشرح ابن رجب أن التوكل اعتماد القلب على الله في جلب النفع ودفع الضرر، مع الأخذ بالأسباب التي أمر بها.^{٣٥}

٣٤ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير الطلاق: ٣؛ التوكل وكفاية الله وتوقيت المقادير بحكمته. نقل بالمعنى. المصدر

٣٥ ابن رجب، جامع العلوم والحكم؛ شرح الحديث التاسع والأربعين، في التوكل والأخذ بالأسباب. لا يلزم من الاعتماد على شرح المعنى تصحيح كل ما يسوقه الفصل من حكايات. المصدر

ثقة وسعي

ويروي ابن عباس رضي الله عنهما في خبر أم إسماعيل:
 «ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ، وَبَابُهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تَرْضَعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا
 عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دُوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ
 بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ
 عَنْدهمَا جَرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا
 فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَرَكْنَا هَذَا
 الْوَادِيَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مَرَارًا،
 وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ.
 قَالَتْ إِذَا لَا يَضِيعُنَا. ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ
 عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرُونَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ
 الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ
 غَيْرِ ذِي زَرْعٍ} حَتَّى بَلَغَ {إِشْكْرُونَ}. وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ
 تَرْضَعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا فِي
 السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى - أَوْ
 قَالَ يَتَلَبَّطُ - فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتْ الصِّفَا
 أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ
 تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنْ الصِّفَا حَتَّى
 إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعَى الْإِنْسَانِ

المَجْهُودُ، حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَّ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَقَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَذَلِكَ سَعَى النَّاسِ بَيْنَهُمَا " - فَلَهَا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَه. تُرِيدُ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَسَمِعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ قَدْ أَسَمِعْتُ، إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثُ. فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ، عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بَعْقِهِ - أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا " - قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ لَا تُخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ، وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَهْلُهُ. ٣٦

٣٦ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث ٣٣٦٤. مقطع متصل من الرواية الطويلة، من وضع إبراهيم أم إسماعيل وابنها عند البيت إلى بشارة الملك بعد ظهور زمزم؛ بقيت ألفاظ الرواية وشكوك الراوي كما هي. دوحة: شجرة عظيمة. قفى: ولى. الثانية: طريق في الجبل. درعها: قميصها. المجهود: من بلغ منه الجهد. صه: اسكت. غواث: إغاثة. تحوضه: تجمع الماء كالخوض. عيناً معيناً: ماء جارياً ظاهراً. المصدر

ثقتها بالله ظاهرة في قولها، وسعيها ظاهر في فعلها. لم تجعل الاعتماد عليه سبباً لترك البحث عن العون، ولم تجعل سعيها سبباً لنسيان من ترجو. وفي الخبر أمر إلهي خاص بإبراهيم؛ أما ما يخصنا فهو الأخذ بأسباب الرعاية التي نقدر عليها، والقيام بالحقوق التي حملناها، مع الاستعانة بالله.

هذا الجمع يحتاج إليه في أمور المعتادة. إذا طلبت عملاً، تعلمت ما يلزم وبحث وقدمت وسألت أهل الخبرة. ثم إن لم تقبل، راجعت ما يمكن تحسينه وجريت سبباً آخر. لا تفسر كل تعثر بأنه نهاية الرزق، ولا تجعل قولك إنك متوكل يغني عن طلب السبب.

أن تترك ما لا تملكه الله

قد تبذل النصيحة لمن تحب، ثم لا يستجيب. تستطيع أن تحسن البيان، وتختار الوقت، وتراجع أسلوبك، لكنك لا تملك قلبه. قال الله لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]. فاستمرار الدعاء والإحسان لا يقتضي مطاردة الإنسان حتى يوافقك، ولا تحميل نفسك كل اختيار يصدر منه.

وقد يكون بعض قلقك ناشئاً من أمر لم تؤد سببه بعد. عندئذ ينفعك أن تحدده وتعمل عليه: رسالة ينبغي إرسالها، أو نفقة ينبغي تنظيمها، أو حق ينبغي رده. أما إذا بذلت ما تستطيع ولم يبق

الآن عمل نافع، فإن تكرار التخیل لا يمنحك قدرة جديدة. ذكر نفسك بحد علمك وقدرتك، واستعن بالله على الانتظار. وعلم النبي صلى الله عليه وسلم البراء بن عازب رضي الله عنهما ما يقوله عند النوم:

« إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْنِي آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ». قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَلَغْتُ " اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ". قُلْتُ وَرَسُولُكَ. قَالَ " لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ "»^{٣٧}

في نهاية اليوم تفوض أمرك إلى الله، وقد بذلت ما تيسر لك واستغفرت من تقصيرك. وما صححه النبي صلى الله عليه وسلم للبراء يعلمنا أن للأذكار ألفاظاً نتعلمها كما وردت. وفي القرآن يقول

٣٧ صحيح البخاري، كتاب الوضوء، حديث ٢٤٧. نقل متن الحديث وتعقيب البراء وتصحيح النبي صلى الله عليه وسلم للفظ الدعاء؛ وفيه تعليم المحافظة على اللفظ المأثور.

المصدر

مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾
[غافر: ٤٤].

قد يبقى خوفك، لكنك تعرف كيف تتعامل معه: تسأل هل
يدلك على سبب تستطيع أخذه، فتأخذه، أم يعيدك إلى أمر لا
تملكه، فترده إلى الله. بهذه المعرفة لا يتوقف سعيك، ولا يصير
يومك كله محاولة لضمان الغد.

هداية القلب حين ينزل القدر

بعد وقوع ما تخشاه

قبل المصيبة تنشغل بما يمكن أن يمنعها. فإذا وقعت، ظهرت حاجة أخرى: كيف تحمل ما وقع، وماذا تفعل الآن؟ قد تظل تستعيد اللحظة نفسها، وتقول لو أن الأمر جرى على وجه آخر. وبعض المراجعة يكشف خطأ يمكن إصلاحه، لكن تكرارها من غير غرض قد يشغلك عما يحتاج إليه حاضرك.

قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبُ﴾ [التغابن: ١١]. بين السعدي هداية القلب إلى الصبر والتسليم عند المصيبة.^{٣٨} هذا علم يعين القلب وهو متألم؛ فما وقع لم يخرج عن علم الله وقدره.

ولا يلزم أن تنكشف لك الحكمة الخاصة فيما أصابك حتى تؤمن بحكمة ربك. قد لا تعرف لماذا جاء المرض في هذا الوقت، أو لماذا فائتلك فرصة تعلق بها. يكفيك ألا تنسب إلى الله ظمأً، وأن

٣٨ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير التغابن: ١١؛ هداية القلب عند المصائب وصلتها بالإيمان والتسليم والعمل. نقل بالمعنى. المصدر

تطلب منه الهداية لما ينبغي أن تفعله. أما الجزم بأن حادثة معينة وقعت لسبب غيبي بعينه، فلا طريق إليه من مجرد الظن.

القدر والأسباب

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

«أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسِرْغَ لَقِيَهُ أُمْرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ. فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نَرَى أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ. فَدَعَوْتَهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مِهَاجِرَةِ الْفَتْحِ. فَدَعَوْتَهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلَفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ، إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبَحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفَرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا

عَبِيدَةَ، نَعَمْ نَفَرُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ
إِبِلٌ هَبَطَتْ وَاِدِيَا لَهُ عَدَوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى
جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ
الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَالَ جَفَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ
مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا
تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ
". قَالَ فَحَمَدَ اللَّهُ عَمْرُ ثُمَّ أَنْصَرَفَ. ٣٩

يظهر في الخبر أن الإيمان بالقدر يجتمع مع المشورة والأخذ بما
يحفظ الناس. ولهذا تداوي المرض، وتحمي من تحت رعايتك،
وتعالج أسباب الخسارة التي تستطيع علاجها. الأسباب وما ينشأ
عنها كلها تحت قدر الله، فلا معنى لأن تجعل الإيمان به ذريعة
لترك مسؤوليتك.

٣٩ صحيح البخاري، كتاب الطب، حديث ٥٧٢٩؛ متن خبر عمر عند سرغ، بلفظ
البخاري. سرغ: موضع في طريق الشام. الأجناد: الأقاليم العسكرية. مصبح على ظهر:
راكب صباحا للرجوع. عدوتان: جانبان. المصدر

وإذا كان ما أصابك بسبب ظلم إنسان، فإن وقوعه بقدر الله لا يبيح فعله. يمكنك أن تصبر على الأذى وأن تطلب رفعه بالطرق المشروعة. قال النبي ﷺ:

«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^{٤٠}

رضاك بريك ودينه لا يوجب رضاك بمعصية من عصاه فيك. بل تستعين بما آمنت به على حفظ العدل، وأداء ما عليك، وطلب رفع الظلم بالطرق المشروعة.

ما يعينك على الاحتمال

تحتاج في أول الأمر إلى تحديد ما تتطلبه المصيبة منك. من فقد مورد رزقه يحتاج إلى ترتيب النفقة والبحث عن مورد، ومن مرض قريبه يحتاج إلى رعايته ومعرفة ما يمكنه فعله. قد تستعين بأهلك أو بمن تثق بخبرته؛ فالمسؤولية لا تعني أن تحمل كل شيء وحدك.

ثم تفرق بين ما يمكن إصلاحه وما مضى وانقضى. إن كان منك تقصير، فالاعتراف به وإصلاح أثره عمل صالح. وإن كان أمراً خرج عن قدرتك، فلا تنسب إلى نفسك مسؤولية لا تحملها. سؤال

٤٠ صحيح مسلم، حديث ٣٤؛ الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. المصدر

ما الذي أستطيع فعله الآن يساعدك على الانتقال من تكرار
الفاجعة إلى أداء الحق الذي بقي.

وفي أثناء ذلك تدعو وتبكي وتطلب الفرج. هداية القلب لا تلغي
حاجتك إلى العون، بل تعلمك إلى من تتوجه، وتحفظك من أن
يتحول الألم إلى ظلم أو يأس. وقد يتقدم بك الصبر خطوة صغيرة:
تكف كلمة محرمة، أو تؤدي حاجة ضرورية، أو تقبل مساعدة.
ترجو أن يعينك الله على الخطوة التي بعدها.

حزن يعرف إلى من يشكو

دمعة مع الإيمان

حين يموت من تحب، أو تطول غيبته، لا تفقد شخصاً مجرداً؛ تفقد مجالسته، وصوته، وأموراً صغيرة اعتدت وجوده فيها. وقد يفاجئك الحزن بعد وقت كنت تظن أنك هدأت فيه. هذا الألم يحتاج إلى رحمة وفهم، ولا يصلح أن نجعل ظهوره حكماً على إيمان صاحبه.

ونقرأ في خبر يعقوب عليه السلام:

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ١٠ قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين ١١ قال إنما أشكو بني وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ١٢ يا بني اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴿ [يوسف: ٨٤-

٨٧] ١٠

٤١ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير يوسف: ٨٦؛ شكوى يعقوب عليه السلام إلى الله ورجاؤه اجتماع شمله. المصدر

نسمع في الآيات شدة الحزن مع بقاء الرجاء والدعاء والسعي. الشكوى التي يتوجه بها إلى الله لا تقطع إيمانه به، والبحث الذي يدعو إليه أبناءه يأتي في قلب هذا الألم. بذلك نفهم أن المحزون قد يحتاج إلى وقت وعون، ويظل قادراً على بعض البر والعمل وإن لم يذهب حزنه.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه:

«دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ - وَكَانَ ظُفْرًا لِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذَرِفَانِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ " يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ". ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ " ٢٠»

٢٢ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث ١٣٠٣؛ متن الخبر إلى آخر قول النبي صلى الله عليه وسلم. أما متابعة موسى في آخر المصدر فإسنادية. القين: الحداد. ظئره: زوج مرضعته. يجود بنفسه: في سياق الموت. المصدر

سمى النبي صلى الله عليه وسلم دمه رحمة، وذكر حزن قلبه، وحفظ لسانه عما لا يرضي ربه. هذه أمور تجتمع في المؤمن؛ فلا نطالبه بأن يكتم الدمع ليبرهن على الصبر، وإنما نعينه على ما يحفظ إيمانه وحقوقه في ساعة الفقد.

كلمات تحملها ساعة الفقد

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. تذكر هذه الكلمات الحزين بأنه عبد لله، وأن من فقده عبد لله، وأن الرجوع إليه مآل الجميع. لا تنكر عليه المصيبة، بل تعينه على استقبالها بالإيمان.

وقالت أم سلمة رضي الله عنها:

«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْرِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَجْرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا ". قَالَتْ فَلَمَّا تَوَفَّى أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »^{٤٣}

٤٣ صحيح مسلم، كتاب الجنائز، حديث ٩١٨، الرواية b؛ متن الحديث وكلام أم سلمة بعده بلفظ هذه الرواية. المصدر

دعت بما علمها النبي صلى الله عليه وسلم، ففتح الله لها من الخير ما تذكره في خبرها. تدعو أنت أيضاً وترجو فضل الله؛ ولا تجعل صورة عوضها شرطاً لرجائك أو وعداً لكل مصاب بعوض مماثل في صورته.

وعن أنس رضي الله عنه:

«مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ فَقَالَ " اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ". قَالَتْ إِلَيْكَ عَنِي، فَإِنَّكَ لَمْ تَصِبْ بِمَصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِينَ فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ " إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى " ».

تبين الكلمة عظم الصبر حين يفجؤك الألم. وإذا قصرت في أول المصيبة، فاستغفر وأصلح ما صدر منك، وواصل الصبر فيما بقي؛ لا تجعل تقصير ساعة سبباً للاستسلام في الأيام التالية.

٤٤ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث ١٢٨٣؛ متن قصة المرأة عند القبر بلفظه.

أن يبقى للحب عمل

قد تمنى بعد موت والديك أن تفعل لهما شيئاً. ومن البر الذي يبقى الدعاء؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^{٥٠}

ومن عمل البر الصدقة عنهما. تروي عائشة رضي الله عنها:

«أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أُمِّي افْتَلَتْ نَفْسَهَا وَلَمْ تُوصِ وَأُظْنَهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ أَفْلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا قَالَ "نَعَمْ"»^{٥١}

يتحول الحنين هنا إلى دعاء أو إحسان ينفع صاحبه. وفي صلة أهل ود الأب يروي عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما:

«أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ فَقُلْنَا لَهُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًا لِعُمَرَ بْنِ

٤٥ صحيح مسلم، كتاب الوصية، حديث ١٦٣١؛ متن الحديث بلفظه. المصدر
٤٦ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث ١٠٠٤، الرواية a؛ متن السؤال والجواب.
افتلتت نفسها: ماتت فجأة. المصدر

الْخَطَّابُ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " إِنْ
أَبْرَ الْبِرِّ صَلََةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ " ٤٧

اتسع بر ابن عمر إلى صلة بقيت من حياة أبيه. وهذه صورة لعمل
تحمله المحبة بعد الفقد؛ تسأل عمن كان يحبه والدك، وتؤدي ما
تقدر عليه من الإحسان والدعاء، وتحتسب ذلك عند الله.

وقد تحزن كذلك على من يعيش بعيداً عنك أو على حال تغيرت
ولم تعد كما كانت. حاول أن تعرف ما بقي لك من صلة نافعة،
وما تحتاج إلى التسليم بفواته. لا تستطيع استعادة كل يوم مضى،
لكنك قد تستطيع إصلاح علاقة باقية، أو أداء حق كنت تؤجله،
أو حفظ مودة لم تنقطع.

وهذا لا يلزمك بأن تجد فائدة لكل ألم في اللحظة نفسها. ربما تحتاج
أولاً إلى من يجلس معك أو يتولى بعض حاجاتك. والحديث إلى
إنسان أمين عن وجعك وطلب العون منه لا يمنع شكواك إلى الله؛
فأنت تسأله من المساعدة ما يقدر عليه، وتظل مفتقراً إلى ربك في
أمرك كله.

٤٧ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، حديث ٢٥٥٢، الرواية a؛ خبر ابن
عمر بلفظه. ودأ العمر: صديقاً له. المصدر

أن ترفق بالمحزون

إذا كنت إلى جوار من أصيب، فانتبه إلى حاجته قبل أن تكثر الكلام. قد يريد أن يتحدث عن صاحبه، وقد يعجز عن الحديث. اسأله عما تستطيع مساعدته فيه، واعرض أمرًا محددًا تقدر عليه: طعامًا، أو متابعة حاجة، أو رعاية طفل. هذه خدمة يفهمها المتألم وينتفع بها.

ولا تجعل سرعة عودته إلى عاداته شرطًا لقبول حزنه. قد يفرح ساعة ويعود إلى البكاء، وقد يستطيع العمل ويعجز عن مجلس اجتماعي. عامله بما يظهر من حاجته، وتجنب نسبة ما في قلبه إلى ضعف الدين. وحين يحتاج إلى عون يتجاوز قدرتك، أعنه على الوصول إليه.

ومع بقاء ألم الفقد، يجد المؤمن في الدعاء والبر عملاً ينفع من يحب، ويعينه على العيش برحاء رحمة الله ولقائه.

الصبر في أيام المرض

أن تسأل العافية

يغير المرض أشياء كنت تفعلها من غير تفكير. قد تحتاج إلى عون في حركة يسيرة، أو تعيد ترتيب يومك حول العلاج والراحة، أو تعجز عن عمل اعتدت القيام به. ومع الألم قد يؤلمك شعورك بأنك أصبحت عبئاً على غيرك. تحتاج في هذه الحال إلى رعاية تحفظ كرامتك، وإلى فهم يعينك على عبادة الله بحسب استطاعتك.

قال الله تعالى في خبر أيوب عليه السلام:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

سمى أيوب الضر الذي مسه، وسأل أرحم الراحمين، وأثنى الله عليه فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]. اجتمع طلب كشف الضر مع الصبر؛ فتسمية الألم وطلب العافية لا ينافيان الإيمان والرجوع إلى الله.

وعن عائشة رضي الله عنها:

«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ
بِيَدِهِ أَيْمَنِي وَيَقُولُ " اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهَبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ
وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يَغَادِرُ سَقَمًا " »^{٤٨}

تسأل الله الشفاء وتأخذ بأسباب العلاج، وترجو أن يعينك على ما
بقي من ألم. وحاجة المريض إلى الدعاء والرعاية تجتمع في اليوم
نفسه.

ما بقي في قدرتك

قد تقارن نفسك بحالك قبل المرض، فتبدولك كل أفعالك قليلة.
لكن القدرة تغيرت، وما يحتاج إلى مجاهدة منك اليوم قد كان
يسيراً بالأمس. اسأل عما يلزمك من أحكام العبادة في حالك،
واعمل بما تستطيع على الوجه المشروع؛ فلا تعرض نفسك للعت
بسبب جهل بما رخص الله فيه.

وقال عطاء بن أبي رباح:

«قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى.
قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ

٤٨ صحيح البخاري، كتاب الطب، حديث ٥٧٤٣؛ متن فعل النبي صلى الله عليه
وسلم ودعائه، دون المتابعة الإسنادية بعده. المصدر

إِنِّي أُصْرِعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ " إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِكَ ". فَقَالَتْ أَصْبِرُ. فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا. ٤٩

اختارت المرأة الصبر على ما بشرت به، وبقي لها طلب محدد يتعلق بصون جسدها. ننتفع من ذلك بالأنا نحو حاجات المريض تحت كلمة عامة عن الصبر، فقد يحتمل ألماً ويحتاج إلى مساعدة في ألم آخر، ويحق له أن يبين ما يؤذيه وأن يطلب رفعه.

وقد تحتاج إلى أن تخبر من يركك بحاجتك بدل انتظار أن يفهمها وحده. بين ما يركك وما يرهقك، واسأل عما لا تعرف في علاجك من أهله. قبول المساعدة في موضع الحاجة لا يلغي ما بذلته للناس من قبل، ولا يسلبك منزلتك بينهم. تتغير الأدوار في الحياة، ويحتاج القوي اليوم إلى من يعينه غداً.

٤٩ صحيح البخاري، كتاب المرضى، حديث ٥٦٥٢؛ خبر المرأة التي كانت تصرع، من رواية عطاء عن ابن عباس. هذه بشارة خاصة أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يلزم بها مريض آخر بترك علاج أو دعاء. المصدر

وقال النبي ﷺ:

«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَهَ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^{٥٠}

في الحديث رجاء للتكفير عما يصيب المسلم، حتى الأذى اليسير. نذكر هذا الرجاء وأنت تسأل زوال الألم، ولا تحتاج إلى استدامته حتى تنتفع بالبشارة.

ولهذا يكون من الرحمة أن يصدق من حولك وصفك لتعبك، وألا يجعلوا الحديث سبباً لتصغيره. ذكر الشوكة يبين سعة فضل الله، ويعلمنا أن ما نراه صغيراً لا يغيب عنه. ورب ألم يتكرر ولا يراه الزائر، بينما يعرف المريض ما يقطعه من نومه أو يحده من حركته.

وفي زيارة ثابت البناني لأنس رضي الله عنه نرى طلب العون بعبارة واضحة. قال عبد العزيز:

«دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ، عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ ثَابِتٌ يَا أَبَا حَمْزَةَ اشْتَكَيْتُ. فَقَالَ أَنَسٌ أَلَا أَرَاكَ بِرُقِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

٥٠ صحيح البخاري، حديث ٥٦٤١؛ تكفير الخطايا بالنصب والوصب والهم والحزن. النصب: التعب؛ والوصب: المرض. المصدر

وسلم قَالَ بَلَى. قَالَ " اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهَبَ الْبَاسِ اشْفِ
أَنْتَ الشَّافِي لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يَغَادِرُ سَقَمًا "٥١

أخبر ثابت بتعبه، فعرض أنس ما يعرفه من الرقية النبوية، وقبلها
ثابت. في مثل هذا التبادل رفع بالمريض وتعليم له؛ يسمع دعاءً
ثابتاً، ويجد من يلتفت إلى شكواه. فلا يحتاج إلى إخفاء ألمه ليثبت
حسن احتماله.

حين ترعى مريضاً

أمام من يرعى المريض مسؤولية يومية قد تطول. يحتاج إلى الصبر
وحسن المعاملة، ويحتاج أيضاً إلى توزيع الأعباء وطلب العون حين
يتاح. إذا تراكم عليه التعب، فاعترافه به يتيح ترتيب الرعاية على
وجه أقدر على الاستمرار. كتمان العجز حتى يتحول إلى غضب على
المريض يضر بهما معاً.

ومن حفظ كرامة المريض أن تخاطبه مباشرة، وتستأذنه فيما
يخصه، وتشرح له ما تستطيع شرحه. لا تجعل عجزه في أمر سبباً
لإلغاء رأيه في كل أمر. وقد يكون طلبه البسيط، كاختيار وقت

٥١ صحيح البخاري، كتاب الطب، حديث ٥٧٤٢؛ ثابت هو الباني، من التابعين.
عبد العزيز هو ابن صهيب. نُقل متن الخبر كما ورد بعد الإسناد. المصدر

الزيارة أو الراحة، مهماً لأنه يمنحه قدرًا من التصرف في يوم
كثرت فيه الأشياء المفروضة عليه.

بهذا تكون الصلة بين الإيمان وطيب العيش واضحة في أيام المرض:
يرجو المريض رحمة الله وأجره، ويؤدي ما يقدر عليه، ويجد عند
أهله رفقا يعينه. ويحتسب من يرعاه إحسانه، ويطلب ما يساعده
على أدائه. المرض باق ما دام الله لم يرفعه، لكن يوم المريض
يمكن أن يكون أرحم وأكرم بما يصنعه هو ومن حوله.

الرجاء حين يطول الطريق

جهد لم تظهر ثمرته

قد يطول انتظارك بعد أن تبذل ما تستطيع. تنصح ولدك فلا ترى تغييراً، أو تسعى لإصلاح شأن من شؤونك ثم تعود إلى العقبة نفسها. وفي طول الانتظار قد تختلط عليك أسئلة مختلفة: هل أحتاج إلى الصبر، أم إلى طريقة أخرى، أم إلى ترك أمر لم يعد نافعاً؟ لا يجب الإصرار وحده عن هذه الأسئلة؛ تحتاج إلى رجاء يعينك على العمل، وبصيرة تراجع بها عملك.

قال نوح عليه السلام:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح: ٥-٩].

تبين الآيات دوام الدعوة وتنوع طرقها مع إعراض المدعويين. نتعلم منها بذل الوسع في تبليغ الخير، ومراجعة الوسيلة التي نستطيع تغييرها، والصبر على ما لا نملك من الاستجابة. وأعمال الأنبياء

تجري بوحى الله؛ فلا نأخذ طول المدة وحده حجة للإقامة على أي وسيلة نختارها.

في حياتك قد يكون المقصد صحيحاً وتحتاج الوسيلة إلى تغيير. إذا لم يفهم ولدك نصيحتك، فانظر في وقتها وطولها وطريقة مخاطبته. وإذا تعثر مشروعك، فراجع أسبابه مع من يحسن تقديرها. مراجعة الوسيلة لا تعني ضعف الرجاء؛ قد تكون هي العمل الذي يقتضيه صدقك في طلب النفع.

حين لا يملك المرء الاستجابة

وقالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم:
«هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٌ قَالَ " لَقَدْ لَقِيتُ
مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ
عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي
إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاِنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى، فَلَمْ أَسْتَفِقْ
إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ
أَظْلَتْنِي، فَفُظِرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ
قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ
لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ
يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمِ

الْأَخْشِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ
اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" ٥٢

في الموقف شدة لقيها الرسول ﷺ، ورجاء في خير يتجاوز الاستجابة
التي غابت في ذلك اليوم. لا يحمل الخبر وعداً بأن كل نصيحة
سنقولها ستثمر كما نريد، لكنه يعلمنا ألا نحصر مستقبل إنسان في
موقف أساء فيه إلينا، وألا نجعل ألماً وحده باعث قرارنا نحوه.

وقد تحتاج إلى مواصلة إحسان لا تظهر ثمرته قريباً، كراعية قريب
أو تعليم طفل. تستطيع أن تسأل عن مدى نفع طريقتك وأن
تعديلها، ويبقى العمل المطلوب منك ذا قيمة ما دمت تؤديه بحق.
فالتعب لا يصبح عبثاً لمجرد أن نتيجته لم تكتمل، كما أن طول
التعب وحده لا يثبت صحة كل اختيار.

٥٢ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، حديث ٣٢٣١؛ سؤال عائشة وجواب النبي
صلى الله عليه وسلم بلفظ المصدر. الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة؛ وقرن الثعالب
موضع في طريقه. المصدر

إذا كان الخطأ منك

أحياناً يكون جزء من التعثر بسبب تصرف صدر منك. عندئذ لا يغنيك طلب الفرج عن الاعتراف والإصلاح. قال الله تعالى في خبر يونس عليه السلام:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلُظًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] ٣٠

جمع دعاؤه توحيد الله وتنزيهه والاعتراف بالخطأ؛ ولذلك يتجه الرجاء هنا إلى رجوع صادق يطلب به صاحبه رحمة الله. وحين تعرف خطأك تستطيع أن تسميه وتصلحه، بدل أن تدافع عنه لأنه جزء من ماضيك.

إذا بان لك خطأ في طريقك، فتصححه جزء من الفرج الذي تحتاج إليه. وقد يكون أول التغيير اعتذاراً، أو توقفاً عن إلحاح مؤذٍ، أو سؤالاً صادقاً لمن يعرف أكثر منك. الرجاء يبقيك قادراً

٣٠ الطبري، جامع البيان، تفسير الأنبياء: ٨٧. معنى «فظن أن لن نقدر عليه» بحسب هذا التفسير: ظن أن لن نضيق عليه ونحبسه؛ وليس المراد نفي قدرة الله تعالى.

على التعلم؛ فلا تضطر إلى الدفاع عن كل ما فعلت حتى تحافظ على أملك في النجاح.

أنت لا تعرف متى تتم الثمرة، لكنك تستطيع أن تميز عملاً نافعاً من تكرار لا يزيد شيئاً. تستعين بالله، وتراجع، وتمضي فيما تبين خيره. بذلك يجد الانتظار ما يشغله من إصلاح، ويبقى القلب متعلقاً بفضل الله من غير أن يطالبه بصورة واحدة يختارها للفرج.

رزق حلال وقلب أمين

المال الذي يدخل البيت

يشغل الرزق جانباً كبيراً من حياتنا؛ به نقضي الحاجات، ونعين أهلنا، ونستعد لما يأتي. ولهذا لا يستقيم الحديث عن صلاح النفس مع إهمال طريقة الكسب. من يعرف أنه يأخذ حق غيره ثم يطلب راحة القلب، يحتاج أولاً إلى أن يراجع المال الذي يصر على أخذه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. تظهر الأمانة في الثمن الذي تقبضه، والعمل الذي وعدت بإنجازه، والمعلومات التي يعتمد عليها من يتعامل معك. وقد يكون المال الذي تكسبه قليلاً، لكنه يأتي من عمل معلوم وحق تؤديه؛ فلا تحتاج إلى الكذب لحمايته أو إلى إخفاء ظلم صاحبه.

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

«لَمَّا قَدَمْنَا الْمَدِينَةَ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالاً، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَأَنْظُرُ أَيَّ زَوْجَتِي هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ

عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجَتْهَا. قَالَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سَوْقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ سَوْقٌ قَيْنَقَاعَ. قَالَ فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقْطٍ وَسَمْنٍ - قَالَ - ثُمَّ تَابَعَ الْغَدُوَّ، فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صَفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " تَزَوَّجْتَ ". قَالَ نَعَمْ. قَالَ " وَمَنْ ". قَالَ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ " كَمْ سُقْتَ ". قَالَ زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَوَّلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ ".

اجتمع كرم المعين مع سعي القادر إلى الكسب. لم يجعل عبد الرحمن فوات ماله الأول نهاية قدرته على العمل، وطلب سبباً يعرفه وهو السوق. ومثل هذا البدء يعين القلب؛ يترك الدوران حول ما فاتته إلى سؤال عما يستطيع فعله الآن، مع بقاء حاجته إلى فضل الله وإعانة الناس.

٤٥ صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث ٢٠٤٨؛ متن خبر المؤاخاة وطلب السوق. أقط: لبن مجفف. أثر الصفرة من أثر الطيب. نواة من ذهب: مقدار وزن. عرض سعد مفارقة إحدى زوجتيه مقيد في نص الخبر بقوله «إِذَا حَلَّتْ»، أي بعد انتهاء عدتها؛ وليس تمليكا لامرأة أو إسقاطا لشروط النكاح. المصدر

أمانة التفاصيل

قد لا يبدأ فساد المعاملة بمال كبير. يخفي البائع عيباً يراه يسيراً، أو يعد العامل بموعد يعلم أنه لن يفي به، أو يؤخر صاحب العمل أجراً يقدر على أدائه. ومع الاعتياد تصبح حقوق الآخرين قابلة للتأجيل كلما تعارضت مع الراحة أو الربح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه:

«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ " مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ". قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ " أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي " °°»

كان الإصلاح في موضع يمكن للمشتري أن يراه: إظهار البلل الذي أخفاه ظاهر الطعام. وهذا يبين أمانة التفاصيل؛ يعلم البائع ما يؤثر في قرار المشتري، فيجعله ظاهراً له. وحين تؤدي عملك بهذه الصراحة، تحفظ حق من يتعامل معك وتبتعد عن كسب يحتاج إلى الإخفاء والتبرير.

٥٥ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث ١٠٢؛ متن خبر صبرة الطعام. الصبرة: كومة الطعام. أصابته السماء: المطر. المصدر

تصحيح ذلك يبدأ بوضوح الالتزام. بين ما تستطيع تقديمه، وما لا يدخل في الاتفاق، ومتى تؤدي ما عليك. وإذا طرأ عجز، فأخبر من يتأثر به مبكراً. هذه الأعمال تحفظ للناس قدرتهم على اتخاذ قرار صحيح، وتقلل الخلاف الذي ينشأ من الإيهام والكتمان.

وقد يغريك منافس يربح من طريق تعلم حرمة، فتظن أن الأمانة تمنعك من النجاح. الأمانة قد تفوت عليك كسباً بعينه، لكنها تحفظك من ظلم ستسأل عنه. ولك أن تطور مهارتك وتحسن عرضك وتبحث عن فرص أخرى؛ لا ينحصر طلب الرزق في الفرصة التي لا تنالها إلا بالغش.

النفقة التي تحتسبها

قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:
«إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»^{٥٦}

٥٦ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث ٥٦. من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، في الأجر على النفقة التي يبتغي بها وجه الله. واللفظ هنا: «حتى ما تجعل في فم امرأتك». المصدر

وقال ﷺ:

«إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ»^{٥٧}

والاحتساب أن تطلب أجر الله فيما تؤديه. فيصير سعيك لكفاية أهلك متصلاً بعبادتك، مع ما تحمله لهم من محبة.

هذه المعرفة تعطي النفقة المتكررة معناها. قد تشعر أنك تعمل ليعود الشهر بالمطالب نفسها، فتذكر أن أداء حق أهلك خير يتجدد. لا يلزم أن يكون العمل نادراً حتى يكون له قدر؛ الطعام والمسكن والحاجات المعتادة مما تقوم به حياتهم، وحسن القيام عليها باب أجر ترجو قبوله.

ويبقى الإنفاق محتاجاً إلى حسن ترتيب. تعرف ما يلزمك، وما تقدر عليه، وما ينبغي تأجيله، وتكلم مع أهلك بوضوح. لا تجعل الكرم في مجلس سبباً لإضاعة نفقة واجبة، ولا تجعل الخوف من المستقبل يمنعهم من حاجة تستطيع أدائها. التوازن ينشأ من معرفة الحقوق والقدرة، لا من الاستجابة لكل رغبة أو رفض كل طلب.

٥٧ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث ٥٥. من حديث أبي مسعود رضي الله عنه: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ». والاحتساب طلب الأجر من الله، مع أداء النفقة على وجهها وحفظ حق الأهل. المصدر

حين يكون كسبك حلالاً، ومعاملتك واضحة، ونفقتك في موضعها، يصبح المال عوناً على الحياة. قد تبقى حاجات تسعى إليها، لكنك تعلم لماذا تعمل وكيف تنفق، وترجو أجر الله في يوم قد يراه الناس مجرد وظيفة وسداد فواتير.

الشكر الذي يجعل النعمة حياة

رؤية ما اعتدته

كثير من النعم لا ننتبه إليها إلا عند غيابها. نستعمل أعيننا وأيدينا، ونحدث إلى من نحب، ونأمن في بيوتنا، ثم يذهب أكثر تفكيرنا إلى أمر لم نحصل عليه. الشكر يبدأ بأن ترى الخير الموجود، وتنسبه إلى الله، وتحمده عليه.

ولا تحتاج إلى إنكار حاجتك حتى تشكر. قد تكون محتاجاً إلى عمل أفضل، ومع ذلك تحمد الله على قوت متاح. وقد يكون في جسدك مرض، وفيه قوى ما زلت تنتفع بها. يجتمع الاعتراف بما ينقصك مع الاعتراف بما أعطاك الله؛ فلا تستولي الحاجة على وصف حياتك كلها.

وعن عائشة رضي الله عنها:

«أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ " أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ

أَكُون عَبْدًا شَكُورًا . فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ، فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ. ٥٨

ظهر الشكر في العبادة، ثم ظهر في آخر الخبر أداء العبادة بحسب القدرة. ليست قيمة العمل في المشقة لذاتها؛ نعبد الله بما شرع، ونشكره بما نطيق، ونحسن استعمال ما أعطانا. وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

كيف تستعمل ما أعطيت

إذا أعطاك الله علماً، كان من شكره أن تعمل به وتعلم منه ما تحسن. وإذا أعطاك قدرة على قضاء حاجة، فابذل منها في حق من يحتاج إليك. وإذا أعطاك مالاً، فأد حقوقه وانتفع به فيما أباح. لا يلزم أن تبتكر عملاً عظيماً كلما تذكرت نعمة؛ قد يكون الشكر في واجب حاضر كنت تؤخره.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ، فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ،

٥٨ صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث ٤٨٣٧؛ متن الخبر بلفظه. نثطر: نشقق. وفي آخره صلاته جالساً حين تغيرت قدرته. المصدر

وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ
الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (١٠)»

يتبين من تنوع هذه الأبواب أن البذل يتسع لما يقدر عليه الإنسان من مال وقوة وكلام حسن؛ فمن قل ماله لم تغلق أمامه أبواب الإحسان. ولك في كل يوم حاجة حاضرة قد تنفع فيها بكلمة أو عدل أو مساعدة.

وقد تحتاج إلى حفظ النعمة قبل أن تبذل منها. وقتك يضيع فيما لا ينفع، ثم تتعذر بضيق اليوم عن أهلك وصلاتك. أو تكون لك منزلة عند الناس فتستعملها في الإضرار بمن اختلف معك. حين تراجع ذلك، يصبح الشكر سؤالاً عن تصرفك فيما أعطيت، لا كلمة تضيفها بعد الاستعمال كيفما كان.

حين يطغى الاستئثار

ويقابل ذلك خبر أصحاب البستان في سورة القلم. قال الله تعالى:
﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا
مُصْبِحِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿٢﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٣﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٤﴾ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ

٥٩ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، حديث ٢٩٨٩؛ متن الحديث. السلامي:
مفصل أو عظم صغير من عظام الجسد. المصدر

﴿ أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فَانْطَلَقُوا
وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾
وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدَرَيْنِ ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴾
بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا
تَسْبِيحُونَ ﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَمَّضُونَ ﴿ قَالُوا يُبَلِّغُنَا إِنَّا كُنَّا طُغْيَانٌ ﴾
عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿ كَذَلِكَ
الْعَذَابُ وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ [القلم: ١٧-
٣٣].

تنتقل الآيات من عزمهم على منع المسكين إلى اعترافهم بظلمهم
ورجوعهم إلى ربهم. عندئذ ينكشف أن حفظ النعمة لا يتحقق
بالشع عن حقوق الناس؛ فالمعطي سبحانه هو الذي ينبغي أن
يراعى أمره فيما أعطى.

تظهر في القصة خطورة أن ينشغل المرء بحفظ المال لنفسه حتى
يمنع ما ينبغي بذله. نأخذ هذا المعنى الذي قصه الله، ولا نحكم به
على كل خسارة تصيب أحداً؛ فمعرفة سبب العقوبة في هذه الواقعة
جاءت من الوحي. وما يخصنا أن نراجع حقوق النعمة قبل أن
يحملنا الشح على تضييعها.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه:

«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ " يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ". فَقَالَ " أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعُنِي فِي دَبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ ". وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذَ الصَّنَابِجِيِّ وَأَوْصَى بِهِ الصَّنَابِجِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ٦٠»

بدأ التوجيه بالحبّة، ثم دل على طلب العون، وانتقلت الوصية إلى من بعد معاذ. فأنت محتاج إلى العون حتى في شكر ما أعطيت؛ تسأل ربك ثم تعمل في نعمة حاضرة: علم تعلمه، أو قدرة تنفع بها، أو حق تؤديه.

بهذا ينتفع الإنسان بما عنده بدل أن يظل غائباً عنه. يرى فضل الله فيحمده، ويحفظ النعمة من الحرام، ويجعل لها أثراً نافعاً في حياته وحياة غيره. ويتسع رجاؤه لفضل جديد من غير أن يمنعه انتظار الجديد من شكر الموجود.

٦٠ أبو داود، السنن، حديث ١٥٢٢؛ صححه الألباني بحسب الحكم المعروض مع النص. سنن أبي داود، كتاب الصلاة، حديث ١٥٢٢؛ متن الوصية وتعاقب نقلها عن معاذ والصنابجي وأبي عبد الرحمن الحلي، بلفظ المصدر. المصدر

القناعة حين تكف العين عن المقارنة

حاجة تتغير كلما نظرت

قد تكون راضياً ببيتك، ثم ترى في هاتفك بيتاً أوسع ورحلة أجمل، فتشعر أن ما عندك قليل. لم يتغير بيتك، ولكنك قارنت حياتك كلها بلحظة منتقاة من حياة أخرى. وإذا تكرر ذلك، صارت حاجاتك تتغير مع كل صورة، ولم تعد تعرف ما يكفيك بالفعل.

هنا يظهر معنى القناعة. قال النبي ﷺ:

«لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^{٦١}

وقال ﷺ:

«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كِفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^{٦٢}

٦١ صحيح البخاري، حديث ٦٤٤٦؛ غنى النفس. العرض: متاع الدنيا. المصدر
٦٢ صحيح مسلم، حديث ١٠٥٤؛ الفلاح مع الإسلام والكفاف والقناعة. الكفاف:
ما يكفي الحاجة. المصدر

للقناعة صلة بكفاية النفس بما رزقت؛ فلا تستنفد عمرك في عد ما في أيدي الناس. تنتفع بما تملك، وتؤدي ما عليك، وتطلب ما تحتاج إليه من غير أن يصير المزيد غاية لا حد لها.

وقد تحتاج فعلاً إلى مسكن أوسع أو دخل أفضل. القناعة لا تمنعك من تحديد هذه الحاجة والسعي إليها، لكنها تساعدك على تمييزها من رغبة نشأت لمجرد أن غيرك يملك شيئاً. الفرق يظهر في قدرتك على الانتفاع بما عندك وأنت تعمل لتحسينه، وفي الوسيلة التي تقبلها للوصول إلى المزيد.

ويتضح أثر هذا المعنى في خبر حكيم بن حزام رضي الله عنه. قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ " يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بَوْرَكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يَبَارِكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ". قَالَ حَكِيمٌ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرَى أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْتِي أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - دَعَاهُ لِيُعْطِيهِ فَيَأْتِي أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ عُمَرُ إِنِّي أَشْهَدُكَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرَضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ

فِيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَفِّيَ. ٦٣

لفت التوجيه نظر حكيم إلى حال النفس حين تأخذ، ثم نرى أثره في اختياره الممتد. وقد عرض عمر عليه حقه ولم يسقطه عنه بسبب القناعة. فمن يربي نفسه على الاستغناء عما في أيدي الناس لا يملك أن يحرم غيره حقًا ثابتًا، ولا أن يذمه إذا أخذ ما يحل له. المقصود أن لا يستولي الحرص على القلب فيصير كمن يأكل ولا يشبع.

المال في حجه الصحيح

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].
يبين السعدي أن متاع الدنيا امتحان زائل، وأن رزق الله من العلم

٦٣ صحيح البخاري، كتاب الزكاة، حديث ١٤٧٢؛ متن الخبر مع ما وقع لحكيم في خلافة أبي بكر وعمر. بإشراف نفس: بتطلع وحرص. لا أرزأ: لا أخذ من ماله. الفتي: المال العام المذكور في الخبر. امتناعه عن عطائه اختيار شخصي، ولا يدل على تحريم أخذ الحق المشروع. المصدر

والإيمان وثواب الآخرة خير وأبقى.^{٦٤} فتتسع نظرتك للرزق، ولا يبقى المال وحده مقياس الحظ.

وفي خبر قارون يجمع القرآن منظر الزينة وما صار إليه أمر صاحبها:
﴿نَخْرَجَ عَلَيَّ قَوْمَهُ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿نَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنُو وَيْكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩-٨٢].

تغير تقدير المتمنين حين رأوا العاقبة. وهذا يعلمنا أن المشهد الذي يوقظ حسرتنا قد يخفي ما لا نعرفه من حال صاحبه؛ فلا نجعل ظاهر الثراء وحده دليلاً على حسن الحظ، ولا ننسى ثواب الإيمان والعمل الصالح ونحن نطلب رزقنا.

تحتاج إلى هذا التذكير حين تنظر إلى نجاح الناس. قد يكون المال نعمة لصاحبه، وقد يكون موضع فتنة؛ لا تعرف حياته كلها من

٦٤ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير طه: ١٣١؛ النهي عن التطلع إلى زهرة الحياة الدنيا وكونها امتحاناً زائلاً. المصدر

مظهرها. سل الله من فضله، وادع لأخيك بالبركة، ثم عد إلى ما ينفعك. تمنيك أن تزول نعمته لا يزيد رزقك، واستغراقك في متابعته يستهلك وقتاً تستطيع أن تصلح به شأنك.

وسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فجاء في الخبر:

«وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ فَقَالَ أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ أَلَيْكَ أَمْرَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا قَالَ نَعَمْ . قَالَ أَلَيْكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ قَالَ فَإِنَّ لِي خَادِمًا قَالَ فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ»^{٦٥}

أعاد الجواب نظر السائل إلى نعم كان يملكها بالفعل. لا يمنحك هذا من الاعتراف بحاجتك، لكنه يعينك على أن تصف حياتك بصدق أوسع؛ ترى ما فقدت وما بقي لك، وتعرف أين تحتاج إلى سعي وأين تحتاج إلى شكر.

٦٥ صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث ٢٩٧٩، الرواية a؛ الموقف الأول في الخبر، من سؤال الرجل إلى جواب عبد الله بن عمرو. وفي بقية الرواية عرضه مساعدة محتاجين ورفع حاجتهم للسلطان؛ فلا يجعل تذكيره بالنعم إسقاطاً لواجب الإعانة. المصدر

اختيار تستطيع احتماله

قبل شراء شيء كبير، اسأل نفسك عما سيضيفه إلى حياتك، وعما سيلزملك من نفقة بعد شرائه. قد تختار بيتاً أبسط لتبقى قادراً على الوفاء بحاجات أسرتك، أو تؤجل رحلة حتى لا تثقل بدين. هذه قرارات تتعلق بقدرتك وأولوياتك؛ لا تنقص قيمتها لأن صورتها أقل إبهاراً.

وقد تحتاج إلى تقليل ما يثير فيك المقارنة على الدوام. إذا كنت تخرج من مشاهدة محتوى معين ساخطاً على حياتك، فراجع الوقت الذي تعطيه له. ليس كل ما يعرض عليك جيداً بأن يدخل في تعريفك للحاجة والنجاح. تستطيع أن تتعلم وتطلع، من غير أن تجعل حياة الآخرين برنامجاً ينبغي أن تلحق به.

وقال النبي ﷺ:

«انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»^{٦٦}

٦٦ صحيح مسلم، حديث ٢٩٦٣٣؛ النظر إلى من هو دونك في متاع الدنيا. المقتبس مقطع متصل بلفظ الرواية. وفي آخر المصدر: «قال أبو معاوية: عليكم»، وهو بيان اختلاف لفظ الرواية. المصدر

يتعلق ذلك بمتاع الدنيا؛ تذكر من حرم نعمة عندك، فتعرف فضل الله وترحم المحتاج. لا تجعل المقارنة فرصة للتعالي عليه، ولا لتصغير ألمك وألمه، بل سبباً للشكر والإحسان.

حقك في السعي وحق غيرك عليك

قد يطلب منك من أخر أجرك أن تقنع. لا يسقط حقك بهذه الكلمة؛ القناعة تربية للنفس على ترك الحرص المحرم، وليست حجة لمن يمنع حقاً واجباً. ومن وسع الله عليه، فشكره أن يؤدي ما عليه ويحسن فيما يقدر عليه. وقد جمع النووي في رياض الصالحين أبواب القناعة مع باب فضل الغني الشاكر.^{٦٧، ٦٨}

ولك أن تطلب الزيادة الحلال وأنت قانع؛ تدرس وتعمل وتدخر، وتفرح بما ييسر الله. وعلامة الفرق أن المطلوب لا يستولي على كل ما في حياتك: تستطيع أن تفرح بأهلك، وأن ترى ما أنجزت، وأن تحمد الله على الكفاية التي حاضرتك. فإذا حصل المزيد انتفعت به، وإذا تأخر لم تصبح كل نعمك في نظرك بلا قيمة.

٦٧ النووي، رياض الصالحين؛ باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق ودم السؤال من غير ضرورة. رقم الصفحة في الرابط تنظيم إلكتروني لا رقم طبعة مطبوعة. المصدر

٦٨ النووي، رياض الصالحين؛ باب فضل الغني الشاكر. الاستفادة من التبويب وجمع الأحاديث، لا نسبة تفسير مباشر لآية النحل إلى المؤلف. المصدر

العفو الذي يحرر القلب

من الغضب إلى الاختيار

إذا ظلمك إنسان، فقد يبقى أثر فعله بعد انتهاء الموقف. تستعيد كلمته، وتخيل كيف ترد، وتنتظر فرصة يظهر فيها خطؤه. وللغضب سبب مفهوم، لكنه قد يستولي على يومك، أو يملكك على ظلم من ظلمك. أول ما تحتاجه أن تمنع الأذى الجديد، ثم تنظر فيما يصلح العلاقة ويحفظ الحقوق.

قال الله تعالى: ﴿وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. يميز السعدي بين كظم الغيظ، وهو حبس الغضب عن إنفاذ مقتضاه، وبين العفو عن المسيء^{٦٩}. قد تبدأ بإمساك لسانك وتأجيل الرد حتى تهدأ، ثم تستطيع أن تختار الصفح. وكل مرحلة تحتاج إلى صدق ومجاهدة.

٦٩ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير آل عمران: ١٣٤؛ التفريق بين كظم الغيظ والعفو، وصلته بالإحسان ورجاء الثواب. المصدر

ونرى أثر الوقوف عند أمر الله في موقف عمر رضي الله عنه. قال ابن عباس رضي الله عنهما:

«قَدِمَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحَرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمَشَاوِرَتِهِ كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شُبَانًا. فَقَالَ عَيْنَةُ لَابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ. قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذِنَ الْحَرَّ لِعَيْنَةَ فَأْذَنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحَرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ.»^{٧٠}

وقع الغضب، ثم وجد التذكير الذي أوقف أثره قبل أن يمضي. من هنا يبدأ تدريب النفس عند الخصومة: أن تقبل ما يذكرك بحق الله ولو جاءك في لحظة تملك فيها الرد، وأن يكون للآية

٧٠ صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث ٤٦٤٢؛ متن خبر عينة والحر وعمر. القراء هنا أهل القرآن والعلم. الجزل: العطاء الكثير. وقف عند الآية فكف عما هم به. المصدر

سلطان على قرارك. قد لا يزول انفعالك فوراً، لكنك تستطيع أن تكف فعلاً يزيد الضرر.

عفو لا يعيد التعبير

ونقرأ في لقاء يوسف عليه السلام بآخوته:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾
 قَالُوا أَأَنْتَ يَوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ
 اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَى وَصِيِّ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَلِئِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ﴾ قَالَ
 لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿يُوسُفُ: ٨٩-٩٢﴾.

انتهى اعترافهم بخطئهم إلى عفو ودعاء بالمغفرة، فلم يجعل يوسف قدرته على مؤاخذتهم سبباً لإعادة الجرح. هذه صورة تبين أن الصفح يمتد إلى الكلمة التي يسمعها المخطئ بعد أن يعترف؛ يفتح له باب الإصلاح بدل أن يبقى محكوماً بالتعبير.

قد تقول إنك عفوت، ثم تعود إلى الخطأ القديم في كل خلاف جديد. عندئذ يظل الطرف الآخر محكوماً به مهما حاول الإصلاح، وتظل أنت تستحضر ما آلمك. إذا اخترت الصفح، فاجتهد في ترك التعبير. أما ما يحتاج إلى احتياط أو ترتيب يحفظ حَقَّك، فبيّنه بوضوح من غير إهانة.

وفي خبر عائشة رضي الله عنها نقرأ موقف أبي بكر مع مسطح:

«فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَى مَسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ - وَاللَّهِ لَا أَنْفَقُ عَلَى مَسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَى} الْآيَةَ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي. فَرَجَعَ إِلَى مَسْطَحٍ النِّفْقَةِ الَّتِي كَانَ يَنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَنْزَعُهَا عَنْهُ أَبَدًا»^{٧١}

ويبين ابن كثير عند تفسير آية العفو أثر رجاء المغفرة في الحث على الصفح.^{٧٢} حين تستحضر حاجتك إلى عفو الله، يظهر لك باعث على مراجعة موقفك من المسيء؛ فتفعل ما ترجو به رضا ربك وأنت تعرف كلفة ما تترك.

لم يكن الأذى يسيراً؛ فقد تعلق بابنته عائشة رضي الله عنها. ومع ذلك استجاب للتذكير بما يرجوه من ربه. هذا باعث يعين على

٧١ صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، حديث ٦٦٧٩؛ مقطع متصل يضم خبر أبي بكر ومسطح كاملاً في هذه الرواية المختصرة من حديث الإفك. الآية المختصرة داخل الخبر من لفظ المصدر، لا حذف جديد في النقل. المصدر

٧٢ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير النور: ٢٢؛ بيان خبر أبي بكر ومسطح والعفو رجاء المغفرة. المصدر

العفو: نتذكر حاجتك إلى مغفرة الله، فلا يبقى النظر كله محصوراً في خطأ غيرك نحوك.

الحقوق وحدود الثقة

قد تعفو عن كلمة قالها قريب، وتحتاج مع ذلك إلى الاتفاق على طريقة تمنع تكرار الإهانة. وقد تترك مؤاخظة شخصية، وتبقى مسؤولاً عن حق آخرين لا تملك إسقاطه. فالعفو لا يجعل الحقوق كلها سواء، ولا يعيد الثقة كاملة بمجرد النطق به؛ الثقة تتعلق بما يظهر من صدق وإصلاح.

وإذا استمر الأذى، فاطلب دفعه بالطرق المشروعة، واستعن بمن يقدر على الإصلاح والحماية. لا تظلم في ردك، ولا تجعل المطالبة بالعفو ضغطاً على المتضرر ليتحمل ضرراً متجدداً. الصفح باب فضل، وفهمه يحتاج إلى مراعاة الحق والحال.

وإذا كنت أنت المسيء، فلا تبدأ بمطالبة صاحب الحق بأن يكون متسامحاً. ابدأ بما عليك: اعتراف، واعتذار، ورد لما أخذت، وتغيير للفعل الذي آذاه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرْضِهِ أَوْ شَيْءٌ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ

صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ
مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ " (٧٣)

تدفعك هذه الوصية إلى إصلاح ما تقدر عليه الآن. والعفو الذي
ترجو به طمأنينة قلبك لا يبيح لك أن تترك غيرك مع أثر ظلمك،
أو أن تعده بفضيلة الصفح قبل أن تبذل حقه. وبين النبي صلى
الله عليه وسلم عاقبة الاعتداء في هذا السؤال والجواب:

« أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ . قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ
وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَكَذَبَ هَذَا وَأَكَلَ
مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ
وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ
أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " (٧٤)

تذكر الصلاة والصيام والزكاة مع حقوق الناس في الحديث نفسه،
حفظ العبادة وحفظ حق المخلوق طريق واحد في طاعة الله. ولهذا

٧٣ صحيح البخاري، كتاب المظالم، حديث ٢٤٤٩؛ متن الحديث دون تعقيب
البخاري عن اسم المقربي. تفاصيل أداء الحقوق تختلف بحسب نوعها، ويراعى في
بيانها ألا تزداد المفسدة. المصدر

٧٤ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، حديث ٢٥٨١؛ متن حديث المفلس.
المصدر

نراجع أثر كلامنا ومالنا وقوتنا في غيرنا، كما نراجع ما نؤديه من عبادات.

تحرر النفس من استدامة الخصومة بقدر ما تستقيم في موقفها: تمنع نفسها من العدوان، وتطلب حقها دون ظلم، وتعفو حين تختار العفو وترجو أجره. وقد يحتاج أثر الجرح إلى وقت؛ يكفي أن تعمل على ألا يكون هو الذي يقرر كل كلامك وأفعالك بعد اليوم.

طمأنينة تسكن معنا في البيت

السكون الذي نصنع أسبابه

يرجع الإنسان إلى بيته وهو يرجو أن يجد قبولاً ورفقاً. وقد يرجع الآخرون إليه بالرجاء نفسه. لا يتحقق ذلك بغياب الخلاف كله، وإنما بطريقة التعامل معه: هل يستطيع كل واحد أن يبين حاجته؟ هل يصاب من الإهانة؟ وهل يجد من أخطأ سبيلاً إلى الاعتذار والإصلاح؟

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. يبين السعدي ما في خلق الزوجين من أسباب السكون والمودة والرحمة.^{٧٥} ونصيب البيت من هذه النعمة يظهر في العشرة: إنصات، ووفاء، ومساعدة عند التعب، وحفظ لكرامة كل طرف.

٧٥ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير الروم: ٢١؛ السكون والمودة والرحمة بين الزوجين. المصدر

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، فجاء الخبر:

«سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»^{٧٦}

تجتمع خدمة الأهل مع حفظ وقت الصلاة في خبر واحد. هكذا تدخل العبادة في ترتيب الحياة: تعطي الصلاة حقها وتعطي من معك من وقتك وعملك. ومن أسباب سكون البيت أن يجد أهله من يشاركهم ما يتكرر من حاجاته، لا أن ينتظروا الإحسان في مناسبة نادرة فقط.

وقد يفسد على الزوجين انتظار أن يعرف كل منهما حاجة الآخر من غير بيان. يتعب أحدهما ويسكت، ثم يعد عدم انتباه الآخر دليلاً على قلة المحبة. الكلام الواضح يتيح فرصة أفضل للتفاهم: بين حاجتك في وقت مناسب، واسأل عن حاجة صاحبك، واتفقا على ما تستطيعان الوفاء به. فالمودة تعين على التواصل، لكنها لا تمنح أحداً علم ما يخفيه الآخر.

٧٦ صحيح البخاري، كتاب الأذان، حديث ٦٧٦؛ السائل هو الأسود بن يزيد، من كبار التابعين. «مهنة أهله»: خدمتهم، وشرحها الوارد داخل الرواية محفوظ كما هو.

خلاف لا يحو العشرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر أو قال: غيره»^{٧٧}

يذكر الحديث الزوج بالعدل في نظره إلى زوجته، والإنصاف مطلوب في المعاملة بينهما؛ فلا تختزل سنوات العشرة في خصلة تكرهها أو يوم اشتد فيه الخلاف. ما تعرفه من خيرها يعينك على وضع ما تكرهه في حجمه، مع بقاء الحاجة إلى معالجة الخطأ بما يصلحه.

هذا الإنصاف لا يمنع تصحيح الخطأ. تستطيع أن تقول إن كلمة معينة آذتك، من غير أن تحكم بأن كل حياة الآخر إساءة. وكلما حددت الفعل الذي تريد تغييره، صار الإصلاح أوضح. أما العبارات المطلقة، مثل اتهامه بأنه لا يحسن شيئاً، فتضيف جرحاً جديداً وتبعد الحديث عن سببه الأول.

٧٧ مسلم، الصحيح، كتاب الرضاع، حديث ١٤٦٩. نُقل المتن من النص الأصلي لصحيح مسلم المعروف في قسم أصول الحديث بالموسوعة الحديثية للدرر السنية. أبقى شك الراوي «أو قال: غيره». يفرك: يبغض. المصدر

ويحتاج الاعتذار إلى تغيير يتبعه. إذا وعدت بأن تخفف حدثك، فانتبه إلى الوقت الذي يشتد فيه غضبك، وتوقف عن النقاش قبل أن تؤذي، ثم عد إليه حين تقدر على الاستماع. وإذا اشتبه عليكما طريق الإصلاح، فاستعينا بمن يحسن النصيح ويحفظ الخصوصية. ولا ينبغي أن يستخدم طلب الصبر لإبقاء أحد الطرفين في ضرر مستمر.

البر في الأيام المعتادة

قال الله تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤]. يحتاج شكر الوالدين إلى معرفة حالهما الآن؛ فقد يكون ما يسعدهما اتصالاً منتظماً، أو قضاء حاجة، أو إنصتاً لا يبدو لك كبيراً. وربما بالغت في هدية نادرة وأهملت طلباً بسيطاً يتكرر.

ويروي أسير بن جابر خبر أويس القرني مع عمر رضي الله عنه: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمَدُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ نَعَمْ. قَالَ مِنْ مَرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ قَالَ نَعَمْ. قَالَ فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ قَالَ نَعَمْ. قَالَ لَكَ وَالِدَةٌ قَالَ نَعَمْ. قَالَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ "يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمَدٍ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مَرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ

وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّهَ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ
 لَكَ فَافْعَلْ " . فَاسْتَغْفِرْ لِي . فَاسْتَغْفِرَ لَهُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَيْنَ تَرِيدُ
 قَالَ الْكُوفَةَ . قَالَ أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا قَالَ أَكُونُ فِي
 غِبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ . قَالَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ جِئَ
 رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ قَالَ تَرَكْتَهُ
 رَثَ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ . قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَقُولُ " يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ أَهْلِ الْيَمَنِ
 مِنْ مَرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دَرَاهِمٍ
 لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّهَ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ
 يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ " . فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ اسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ أَنْتَ
 أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ اسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ
 أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ لَقِيتَ عُمَرَ
 قَالَ نَعَمْ . فَاسْتَغْفِرَ لَهُ . فَفَظَنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ .
 قَالَ أُسِيرَ وَكَسُوتهُ بَرْدَةٌ فَكَانَ كَلَمًا رَأَى إِنْسَانٌ قَالَ مِنْ أَيْنَ
 لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبَرْدَةُ »^{٧٨}

٧٨ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، حديث ٢٥٤٢، الرواية C؛ متن الخبر بلفظه.
 أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ. أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ: الْجَمَاعَاتُ الْقَادِمَةُ مَدَدًا. غِبْرَاءُ النَّاسِ: عَامَتُهُمْ.
 رَثَ الْبَيْتِ: قَلِيلُ مَتَاعِهِ. هَذَا هُوَ الْقَدْرُ الثَّابِتُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ، دُونَ الْحِكَايَاتِ
 الْآخَرَى الْمَشْتَهَرَةِ عَنْهُ. الْمَصْدَرُ

ذكر به بأمه في التعريف به، ولم تمنعه قلة المتاع من هذا الفضل. ومن يعتني بوالديه قد يؤدي عملاً لا يراه الناس ولا يكتبون له سيرة، لكن خفاءه لا ينقص قدره عند الله. ويعين هذا المعنى على احتمال تكرار الحاجات، وعلى طلب الأجر في تفاصيل الرعاية. وقد يختلف الأبناء مع والديهم في بعض الاختيارات. يبقى البر في حسن الخطاب والإحسان وأداء الحق، مع سؤال أهل العلم عما يشتهه من حدود الطاعة. لا تجعل الخلاف سبباً للقسوة، ولا تجعل البر كلمة غامضة تمنعك من فهم ما يلزمك في الموقف المحدد.

الأبناء أمانة

تحب أن ينجح ولدك ويهتدي، وقد يتحول خوفك عليه إلى مراقبة مرهقة لكل تصرف. تحتاج إلى تعليمه والقيام عليه، وإلى تمييز حاجته الحقيقية من الصورة التي تريدها أنت له. إذا أخطأ، فليعرف الخطأ وكيف يصلحه، وليبق قادراً على أن يأتيك بما يشكل عليه.

تكون الثقة من مواقف متكررة: تصغي قبل أن تحكم، وتفي بوعدك، وتعتذر إذا ظلمت. وحين يرى ولدك أنك ترجع إلى الحق، يتعلم أن الاعتراف لا يهدم كرامة الإنسان. أما إذا كانت

الصراحة لا تجلب له إلا الإهانة، فقد يتعلم إخفاء ما يحتاج فيه إلى إرشادك.

وقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه:

«كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بَيْمِنِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ ". فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.»^{٧٩}

عرف الغلام ما يفعل: يسمي الله ويأكل بيمينه ومما يليه. بقي هذا التوجيه معه لأنه بين له العمل المطلوب في الموقف نفسه. وحين تعلم ولدك، يحتاج إلى مثل هذا الوضوح وإلى الرفق الذي يبقيه قادراً على السؤال والتعلم؛ فلا يتحول كل خطأ صغير إلى حكم على شخصه كله.

بهذا يأمن أهل البيت أن يتحدثوا عن أخطائهم طلباً للإصلاح. وتظهر ثمرة عبادتك في رحمتك بهم وإنصافك لهم وأدائك حقوقهم.

٧٩ صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، حديث ٥٣٧٦؛ متن خبر عمر بن أبي سلمة. في حجره: في رعايته. تطيش في الصحفة: تتحرك في جهات الإناء. طعمتي: طريقتي في الأكل. المصدر

الإحسان الذي يطيب به عيش الناس

حين تصبح الرحمة فعلاً

قد نثأثر بحاجة إنسان، ثم تمضي من غير أن تسأل عما تستطيع فعله. وقد يكون أمامك عمل يسير يرفع بعض حاجته: طعام، أو دلالة على جهة تنفعه، أو وقت تعينه فيه على أمر يعجز عنه. الإحسان يبدأ حين تنتقل من رؤية الحاجة إلى بذل ما تقدر عليه في موضعه.

وله أثر في نفس المحسن أيضاً؛ يقاوم به شحه، ويتعلم أن المال والوقت يمكن أن ينفعا غيره. لكن حاجات الناس ليست وسيلة لتجربة شعور جميل. المقصود نفع المحتاج ابتغاء وجه الله، مع صيانة كرامته. اسأل عما يحتاجه، ولا تفرض عليه ما يروق لك بذله ثم تلومه إن لم ينتفع به.

ويبدأ البذل بالحقوق اللازمة؛ فالزكاة والنفقة الواجبة لا يعوضهما تبرع تختاره لأن الناس يرونه. تحتاج إلى معرفة ما وجب عليك، ثم تتطوع بما يتيسر. هذا الترتيب يحفظ حق من يعتمدون عليك، ويجعل إحسانك متصلاً بأمانتك.

بذل ما تحب

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه:

«كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَحْلٍ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاءُ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ {لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وَإِنِّي أَحَبُّ أَمْوَالِي إِلَى بَيْرَحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَهَا وَذَخَرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "بِخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَاجِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَاجِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنَّ تَجْعَلُهَا فِي الْأَقْرَبِينَ". فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ»^{٨٠}

لم يتوقف أبو طلحة عند تأثره بالآية؛ سمي أحب ماله إليه، وطلب أن يوضع حيث يرضي الله. وجاء التوجيه إلى الأقربين حتى يصل

٨٠ صحيح البخاري، كتاب الزكاة، حديث ١٤٦١؛ متن خبر بيرحاء إلى تقسيمها على الأقارب. حذفت المتابعات الإسنادية واختلاف «راجح/راجح» من المتن، وأثبت اللفظ في الرواية المنقولة «راجح». بيرحاء: اسم بستان أبي طلحة. بخ: كلمة استحسان. المصدر

البذل إلى موضع نفعه. فحين تريد الإحسان، اجمع بين سخاء القصد ومعرفة حاجة من تبذل له.

وقد يكون أقرب المحتاجين منك أقلهم سؤالاً. تعرف من حال قريب أو جار ما لا يعرفه الآخرون، فتستطيع أن تعينه من غير أن تلزمه بشرح حاجته أمام الناس. وتحفظ عليه خصوصيته، ولا تجعل العطاء ديناً من الامتنان تطالبه بسداده كلما خالفك.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما:

«أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْرٍ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْرٍ، لَمْ أَصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ قَالَ " إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا ". قَالَ فَتَصَدَّقْ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لَا يَبَاعُ وَلَا يُوْهَبُ وَلَا يُوْرَثُ، وَتَصَدَّقْ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ، لَا جَنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مَتَمَوْلٍ ٨١»

٨١ صحيح البخاري، كتاب الشروط، حديث ٢٧٣٧؛ متن خبر وقف عمر أرضه، دون التعقيب عن ابن سيرين في اختلاف اللفظ. غير متمول: غير متخذ مال الوقف ملكاً لنفسه. المصدر

بقي الأصل وتكرر الانتفاع؛ فتعلم عمر كيف يجعل ماله سبب خير مستمر. تختلف صور هذا النفع بحسب القدرة، وقد يكون عندك تعليم أو خدمة تستطيع مواصلتها، فتنتفع أنت بدوام الخير وينتفع غيرك بوفائك بما التزمت.

رحمة بما دون الإنسان

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَأَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي فَلَأُخَفِّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ " فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ "»^{٨٢}

عرف الرجل ألم العطش، فحمله ما عرفه على بذل جهد لمخلوق لا يستطيع طلب الماء منه بلسانه. هذه رحمة صارت عملاً، وأجرها

٨٢ صحيح البخاري، كتاب المساقاة، حديث ٢٣٦٣؛ متن القصة وسؤال الصحابة وجواب النبي صلى الله عليه وسلم، دون المتابعة الإسنادية. الثرى: التراب الندي. بفيه: بفمه. رقي: صعد. في كل كبد رطوبة: في الإحسان إلى كل حيوان حي مما يؤذن في الإحسان إليه. المصدر

لا يتوقف على شكر من أحسنت إليه أو على معرفة الناس بما صنعت.

موضع العبرة فعل الرحمة الذي قدر عليه. وقد تكون رحمتك اليوم في ماء تضعه في موضع مناسب، أو أذى ترفعه، أو امتناع عن تعذيب حيوان. لا تحتاج إلى تصغير هذا العمل لأنه لا يلفت الأنظار؛ فالخبر يبين قدر إحسان لم يكن إلى إنسان يستطيع أن يرد الجليل.

نفع تستطيع مواصلته

لا يلزم أن تحمل حاجات الناس جميعاً حتى تكون محسناً. اعرف ما تقدر عليه، وأحسن أداءه، وصدق في حدودك. إذا وعدت بمساعدة فبذلتها في وقتها، كان ذلك أنفع من وعد واسع تعجز عنه. وإذا لم تملك المال، فقد تعرف من يستطيع الإعانة أو تقدر على عمل يحتاج إليه صاحب الحاجة.

وتجنب أن تجعل شكر الناس شرطاً لاستمرار الخير. تعلم من التجربة ما يصلح عطائك، واحفظ نفسك من الاستغلال، ثم احتسب عند الله ما بذلت. قد ينتهي أثر عملك عند قضاء حاجة واحدة، وقد يمتد؛ يكفي أن تنفع بحق فيما تيسر لك.

في مجتمع يتعاون أهله تقل وحدة المحتاج، ويجد الضعيف من يسنده. وهذه ثمرة ظاهرة للعمل الصالح: لا يبقى طيب العيش

نفس مطمئنة الإحسان الذي يطيب به عيش الناس

أمرًا يطلبه الفرد لنفسه وحدها، بل يسهم في بعض أسبابه لغيره،
ويرجو من الله أن يتقبل إحسانه.

الثبات حين تشتد المخاوف

الخوف الذي يحتاج إلى هداية

حين يقترب خطر، قد تتزاحم الاحتمالات حتى تعجز عن التمييز بينها. تحتاج إلى خبر صحيح، ومشورة نافعة، وعمل يحفظ ما تستطيع حفظه. وتحتاج مع ذلك إلى عون الله حتى لا يحملك الخوف على قرار متهور أو يوقفك عن سبب نافع.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. يبين السعدي أن السكينة طمأنينة وثبات يمنحها الله عند ما يقلق القلب.^{٨٣} يسألها المؤمن حين يضعف، ويأخذ بما علم من أسباب السلامة والطاعة.

ويقص القرآن خروج موسى عليه السلام وسعيه عند ماء مدين:

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
﴿وَمَا تَوَجَّهْ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾
﴿وَمَا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا

لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۖ فَسَقَىٰ لَهُمَا
ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢١-٢٤﴾

يجتمع في هذه الآيات طلب النجاة والدعاء والسعي والإحسان إلى الغير. لا ينتظر موسى زوال كل ما به حتى يسقي للمرأتين، ولا يمنعه ما فعل من أن يسأل ربه الخير لنفسه. وهكذا يبقى أمام الخائف عمل يمكنه، وحاجة يحملها إلى الله.

ثبیت من الله

وقال الله تعالى في خبر أم موسى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ لَرْضِعِيهِ ۖ إِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَلَاتِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۚ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمْ لَكَانُوا حَاطِثِينَ ۖ وَقَالَ امْرَأَاتُ فِرْعَوْنَ قُرْبَىٰ عَيْنٍ لِّيَ وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَقَالَ لَأَخْتَهُ قُصِيهِ فَبَصَرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۖ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ

أُمَّهُ كَيْ تَقَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[القصص: ٧-١٣].﴾

يصف القرآن خوفها وفراغ فؤادها، ويذكر تثبيت الله لها ورد ابنها إليها. فالقلب يحتاج إلى عون ربه ولو كان قد سمع ما يطمئنه، وحفظ الإيمان وقت الاضطراب من فضله سبحانه. نحمل حاجتنا إليه ونستعين به على العمل الذي نقدر عليه.^{٨٤}

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

«نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمِيهِ أَبْصَرْنَا تَحْتَ قَدَمِيهِ فَقَالَ " يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا " »^{٨٥}

ردّ الجواب قلب أبي بكر إلى معية الله ونصره في أشد مواضع الخوف. وقال الله في هذا الخبر: ﴿لَا تَحْزَنَ إِنْ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

٨٤ الأوامر والوعد في هذا الخبر خاصة بأم موسى في الواقعة التي قصها القرآن؛ ولا يُستخرج منها جواز تعريض طفل للخطر بغير وحي. يتعلم منها صدق وعد الله وحاجة القلب إلى تثبيته. المصدر

٨٥ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، حديث ٢٣٨١؛ متن خبر الغار. المعية في هذا السياق معية نصر وتأيد؛ كما في قوله تعالى: «لَا تَحْزَنَ إِنْ اللَّهَ مَعَنَا» [التوبة: ٤٠].

٤٠]. الثقة بالله تتيح للقلب أن يلتفت إلى ما هو أعظم من الخطر الذي يراه، وأن يطلب منه الثبات وهو يأخذ أسباب نجاته.

تؤمن بهذه الأخبار، وترجو عون ربك وحفظه، مع التمييز بين وعد خاص في واقعة وبين ما تعلمه عن مستقبلك. لا تعد نفسك بنجاة على صورة معينة لم يأتك بها خبر، ولا تحصر قدرة الله في الوسيلة التي تراها. تؤدي ما عليك، وتسأله الخير والثبات فيما لا تعلم.

من يساندك عند الخوف

قال الله في أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وقال: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٤]. وتذكر قصتهم صبة اجتمعت على الإيمان وسألت الله الرحمة والرشد. فالمرء قد يحتاج إلى من يذكره بالحق حين يضعف، ويعينه على ما عرفه منه.

اختر في خوفك من يحسن الثبوت ويعرف حدود علمه. كثرة الأخبار المتضاربة قد تزيد اضطرابك، والصاحب الذي يجزم بكل احتمال مخيف لا يساعدك على حسن القرار. أما من يبين ما نعلم وما لا نعلم، ويشاركك في تحديد الخطوة الممكنة، فيعينك على تحمل الموقف.

ابدأ بما تقدر عليه: تحقق من الخبر قبل نقله، واتصل بمن يعتمد عليك، واطلب المساعدة حين تحتاج إليها. تستطيع أن تؤدي أمانتك وأنت خائف، مستعيناً بالله، راجياً أن يربط على قلبك.

الدوام على الخير وتقلب الأحوال

حماسة لا تبقى على حال

ربما خرجت من مجلس نافع بعزم كبير، ثم عدت إلى عملك وأهلك نخف حضور ما سمعت. وقد تفسر هذا التغير بأنك غير صادق، مع أنك تقارن حالين مختلفين من الانشغال والانتباه. تحتاج إلى مراجعة عملك، وإلى فهم طبيعة هذا التفاوت، حتى لا تحمل نفسك ما لا تطيق أو تعذرها في كل تفريط.

وقال حنظلة الأسيدي رضي الله عنه:

«لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافِقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسَنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا . فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَافِقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وَمَا ذَاكَ " . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تَذْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى

عَيْنَ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ
وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي
الذِّكْرِ لَصَاحَتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا
حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً " . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ^{٨٦}

والمقصود تفاوت الحضور مع القيام بما يحتاج إليه الإنسان من
أهله ومعاشه؛ لا تقسيم الحياة بين طاعة مقصودة ومعصية
مقصودة. يبقى الواجب واجبا عند قوة الشعور وضعفه. فإذا
خف خشوعك، فحافظ على صلاتك واطلب ما يحسنه، ولا تجعل
فتورك إذنا بتضييعها.

٨٦ صحيح مسلم، كتاب التوبة، حديث ٢٧٥٠، الرواية a؛ متن خبر حنظلة بلفظه.
عافسنا: اشتغلنا وخالطنا شؤون الأهل. الضيعات: المعاش والأموال. «ثلاث مرات»
في آخر النقل من لفظ الرواية. المصدر

أصل تحفظه

وقال سفيان بن عبد الله الثقي رضي الله عنه:

«قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرُكَ - قَالَ " قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ " ^{٨٧}»

للايمان أثر مستمر في الطريق الذي تسلكه. وبين الحديث القدسي ترتيب التقرب إلى الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«" إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " ^{٨٨}»

٨٧ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث ٣٨؛ متن الرواية، وأبقى شك الراوي في «بعدك/غيرك» كما ورد. المصدر

٨٨ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، حديث ٦٥٠٢؛ متن الحديث القدسي كاملاً دون الإسناد. الولاية هنا ولاية الإيمان والتقوى، ويفهم ذكر السمع والبصر في سياق محبة الله لعبده وتوفيقه وتسديده، ولا يدل على حلول الخالق في المخلوق. المصدر

تبدأ بما اقترضه الله عليك، ثم تزيد مما تستطيع دوامه من النوافل. هذا الترتيب يحفظ لك وجهة العمل حين تتزاحم الرغبات؛ فلا تطلب الزيادة مع إضاعة الأصل، ولا تجعل كثرة ما تخطط له عوضاً عما تؤديه فعلاً.

قد تقبل على نوافل كثيرة أياماً، ثم تتعب وتترك أكثرها، بينما كان في وسعك أن تثبت على عمل أقل. وقد تحرص على عبادة تطوع وتضيق على أهلك في حق واجب. يحتاج حسن القصد إلى حسن ترتيب، حتى تبقى الزيادة عوناً على الاستقامة. وعن أبي جحيفة رضي الله عنه:

«أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً. فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكَ قَالَتْ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. جَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا. فَقَالَ كُلْ. قَالَ فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ فَأَكُلْ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ. قَالَ نِمْ. فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ. فَقَالَ نِمْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ قُمْ الْآنَ. فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " صَدَقَ سَلْمَانُ
٨٩ ﴿٠﴾ "

أقرَّ سلمان على توزيع الحق بين الرب والنفس والأهل. بهذا
يستطيع المرء أن يواصل الخير من غير أن يهدم حقاً وهو يزيد في
حق آخر. فإذا اخترت عملاً مستمراً، فانظر إلى ما يزاخمه من
واجبات، واجعل خطتك قابلة للوفاء في يومك الذي تعيشه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«" سَدُّوْا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ عَمَلَهُ الْجَنَّةَ،
وَأَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ قَلَّ "»^{٩٠}

اختر من النافلة ما يناسب قدرتك الحالية، واجعل لها وقتاً تستطيع
المحافظة عليه. هذا ترتيب ليومك، ولا يمنح الوقت الذي اخترته
فضلاً شرعياً خاصاً. وإذا اتسعت قدرتك زدت، وإذا ضاقت
حفظت الأصل واستعنت بالله.

٨٩ صحيح البخاري، كتاب الصوم، حديث ١٩٦٨؛ متن خبر سلمان وأبي الدرداء.
متبذلة: تاركة للزينة. كان الصوم في هذا الموقف تطوعاً؛ فلا يستدل به على ترك
واجب من أجل ضعف المصدر

٩٠ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، حديث ٦٤٦٤؛ متن الحديث بلفظه. المصدر

عندما تنقطع

قد تنقطع عن قراءة اعتدتها بسبب سفر أو تعب. إذا زال العارض، فعد إلى القدر الذي تقدر عليه الآن. لا تشتط أن تعوض كل ما فات قبل أن تستأنف، ولا تجعل الشعور بالتأخر سبباً لمزيد منه. البداية من جديد عمل متاح، ولو لم تكن البداية التي تمنيتها.

وراجع سبب الانقطاع إذا تكرر. قد يكون الوقت غير مناسب، أو المقدار أكبر من قدرتك، أو صحة تستهلك ما تحتاج إليه من انتباه. تغيير هذه الأسباب يعين على الثبات أكثر من لوم لا يتبعه تعديل. وإذا كان الانقطاع عن واجب، فتعلم ما يلزمك لتداركه وتب من التفريط فيه.

وتحتاج أحياناً إلى رفقة تذكرك من غير أن تراقبك على وجه يرهقك، وإلى قدر من الراحة يعينك على حقوقك. الحياة فيها عمل وأهل وعبادة ونوم، ولكل موضعه. كلها وضحت الحقوق، صار توزيع الجهد أعدل، وقلت الوعود التي تطلقها في ساعة حماسة ثم تعجز عنها.

تظهر ثمرة الدوام حين يبقى لك من الخير ما ترجع إليه في تقلب الأحوال. لا تؤجل الاستقامة إلى حال مثالية، بل نتعلم كيف

نفس مطمئنة الدوام على الخير وتقلب الأحوال

تعبد الله في يوم نشيط وفي يوم ثقیل، وتستغفر إذا قصرت،
وتواصل ما أعانك عليه.

خشية تحفظ القلب ورجاء يحمله

لماذا يخاف القلب المطمئن

قد يبدو لك أن الطمأنينة لا تجتمع مع الخوف. لكنك تستطيع أن تثق بعدل الله ورحمته، وتخاف في الوقت نفسه أن تظلم أو تضيع ما أمرك به. هذا الخوف يعينك على الرجوع إلى الحق؛ فتعلقه تقصيرك وما يترتب عليه، وهو لا ينفي ثقتك بربك.

قال الله في المؤمنين: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]. والوجل خوف يحمل علي تعظيم أمر الله وترك مخالفته.^{٩١} وقال في أثر القرآن: ﴿تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. يبين السعدي أثر الوعيد في الخشية، وأثر الوعد في الرجاء ولين القلب.^{٩٢}

تحتاج إلى المعنيين وأنت تحاسب نفسك. إذا استسهلت ذنباً، ذكرك بالخوف بأنك مسؤول عنه. وإذا ظننت أن لا سبيل إلى

٩١ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير السورة ٨، الآية ٢. المصدر

٩٢ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير السورة ٣٩، الآية ٢٣. المصدر

المغفرة، أعادك الرجاء إلى التوبة. وبهما تنتبه إلى الخطأ من غير أن تيأس من إصلاحه.

خوف يحتاج إلى علم

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه:

«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عَلَيْهِ. فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكَسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذًا وَكَذَا. فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبَشَارَةِ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ "أَذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" ١٣»

لم يكن الحكم الذي خافه ثابت على نفسه هو الذي بشره به النبي صلى الله عليه وسلم. احتاج إلى البيان الذي يصحح فهمه ويضع

٩٣ صحيح البخاري، كتاب المناقب، حديث ٣٦١٣؛ متن خبر ثابت بن قيس بلفظ البخاري. اختيرت هذه الرواية، وفيها «فقال رجل» دون تسمية، ولم يركب عليها لفظ رواية أخرى. المصدر

خوفه في موضعه. ولذلك لا يكفي شدة انفعال المرء ليستخرج حكماً على آخرته؛ يتعلم ويسأل ويرجع إلى ما يثبته الدليل.

في الخبر درس لمن يأخذ كل وعيد ويجزم بانطباقه عليه، أو يجعل كل تقصير حكماً ببطلان عمله كله. النصوص تحتاج إلى فهم وشروط وسياق، والخوف الشديد لا يغني عن العلم. اسأل عما أشكل عليك من أهل العلم، ولا تترك نفسك لسلسلة أحكام لم تثبت منها.

وكذلك لا تجعل ما تجد من انشراح شهادة لنفسك بالقبول. تفرح بالخير وتحمد الله، وتبقى راجياً خائفاً، تعرف حاجتك إلى رحمته. لا يدفعك هذا إلى التفتيش المرهق في كل خاطر، وإنما إلى صدق العمل والتوبة مما تعلم من ذنب.

أثر الخشية في الحقوق

قد يكون اختبار الخشية في لحظة تستطيع فيها أن تنتقم ولا يقدر صاحبك على منعك. تذكّر أنك ستلقى الله، فتمسك عن الظلم. أو تكون في يدك أمانة لا يعلم تفاصيلها إلا أنت، فتؤديها لأن علم الله بها يكفيك لتشعر بالمسؤولية.

هذا خوف نافع؛ له ثمرة يمكن معرفتها في الفعل. أما إذا امتلأت نفسك بالقلق على منزلتك وبقيت حقوق الناس مهملة، فابدأ بالحق المعلوم. رد المال، واعتذر من إساءة، وأد الفريضة. العمل الذي

تعرف وجوبه أولى من دوران طويل حول أسئلة لا تملك الجزم
بجوابها.

وبعد الإصلاح ترجو المغفرة والقبول. لا تستطيع أن تمنح نفسك
ضماناً، لكنك تستطيع أن تحسن الظن بالله وتستمر في عبادته.
والخشية التي تصلحك لا تطلب منك أن تقيم في كراهية نفسك؛
تعلمك أن ربك عظيم، وأن أمره جدير بالطاعة، وأن الرجوع إليه
سبيلك كلما قصرت.

بهذا تسكن إلى ما عرفته عن ربك، وتبقى يقظاً لما يلزمك: ترجع
إذا أخطأت، وترجو إذا خفت، وتشكر إذا أعنت.

إلى ربك راضية

ما بعد الحياة التي نعرفها

قد لا تتم في الدنيا كل رغباتك، وقد تنتهي حياة إنسان صالح قبل أن يرى ثمرات كثيرة من سعيه. إذا حصرت الخير فيما يحصل عليه هنا، التبس عليك معنى عمله وصبره. الإيمان بالآخرة يضع الحياة في مداها الكامل: ما نعيشه الآن له قدر، وما عند الله من الجزاء أبقى.

قال الله تعالى: ﴿إَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ ٩٤ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ٩٥ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿ [الفجر: ٢٨-٣٠]. بين السعدي رضا النفس بما أكرمها الله به، ورضاه عنها، وأن هذا خطاب بشارة عند الموت ويوم القيامة. ٩٤، ٩٥ ذلك مآل رجوه ونسأل الله أن يرزقنا أسبابه، ولا نحكم به لأنفسنا لمجرد ما نجد من راحة اليوم.

٩٤ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير الفجر: ٢٨؛ الرجوع إلى الله راضية مرضية. المصدر

٩٥ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير الفجر: ٣٠؛ خطاب الروح عند الموت ويوم القيامة. المصدر

عمل لم تدرك ثمرته كلها

وقال خباب رضي الله عنه:

«هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا. قَتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يُجِدْ مَا نَكْفِيهِ إِلَّا بَرْدَةً إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَغْطِيَ رَأْسَهُ، وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ.»^{٩٦}

لا يصح أن نقيس قيمة تلك الحياة بما تركه صاحبها من متاع. هاجر وعمل وبذل، ويرجو المؤمن جزاء الله على ذلك. ويفتح لك هذا المعنى نظراً أعدل إلى جهدك وجهد من تحب؛ فقد يكون عمل مغمور عند الناس عظيم الأثر فيمن انتفع به، ويبقى ما عند الله مما لا نحيط به.

٩٦ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث ١٢٧٦؛ متن خبر مصعب بلفظه. أينعت: نضجت. يهديها: ينجيها. الإذخر: نبات معروف. «أجره» في وصف ما أدرك بعضهم من الدنيا لا ينفي بقاء ثواب الآخرة لمن صدق في عمله. المصدر

هذا لا يدعوك إلى إهمال معاشك أو حاجات أهلك. أنت تؤديها احتساباً، وتعمل على إحسان حياتك، لكنك لا تجعل ما فاتك من الرفاه حكماً بأن الخير كله فات. من حفظ أمانة في ضيق، أو ربى ولداً، أو صبر على واجب، فقد عاش عملاً يرجو ثوابه وإن لم يكتب عنه أحد.

حسن الظن عند الرجوع

وقالت عائشة رضي الله عنها:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَاحِبُ يَقُولٍ "إِنَّهُ لَمْ يَقْبُضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَحْيَا أَوْ يَخِيرُ". فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأَسَهُ عَلِيٌّ نَخَذَ عَائِشَةُ غُشْيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخْصَ بَصَرَهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ "اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى". فَقُلْتُ إِذَا لَا يَجَاوِرُنَا. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يَحْدِثُنَا وَهُوَ صَاحِبُ يَقُولٍ»^{٩٧}

٩٧ صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث ٤٤٣٧؛ متن خبر التخيير والرفيق الأعلى. شخص بصره: رفعه وثبته. هذا التخيير من شأن الأنبياء كما صرح الحديث.
المصدر

في هذا الرجوع حسن لقاء بربه واختيار لما عنده. والمؤمن يسأل الله حسن الخاتمة ويستعد للقاء بما يقدر عليه من صدق وتوبة وأداء الحقوق.

وفي خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جاء قول أبي بكر رضي الله عنه:

«جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ قَالَ يَا أَبَتِي أَنْتَ وَآمِي طُبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا. ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ أَيُّهَا الْخَالِفُ عَلَى رَسُولِكَ. فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ. فَحَمَدَ اللَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. وَقَالَ {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} وَقَالَ {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} قَالَ فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ»^{٩٨}

٩٨ صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الحديثان ٣٦٦٧ و٣٦٦٨ في العرض المتصل. المقطع المنقول من مجيء أبي بكر إلى بكاء الناس، دون بقية الرواية في السقيفة؛ لأنه موضع الشاهد في فقد والثبات. نشج: ارتفع صوته بالبكاء. المصدر

بقي البكاء حاضراً، وبقي معه التذكير بأن الله حي لا يموت. هذا ما يعين القلب حين يفقد من كان يستند إليه من الخلق: يحزن عليه ويحفظ محبته، وتبقى عبادة الله هي الأصل الذي يرجع إليه ويواصل به حياته.

وقال النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث:

«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ»^{٩٩}

يتوجه العبد إلى ربه راجياً رحمته ومغفرته. ويعينه على ذلك أن يتعلم ما أخبر الله به عن فضله، وأن يتوب ويؤدي ما يقدر عليه من حقوق؛ فيجمع حسن الظن بصدق الرجوع.

لا تعرف متى تنتهي حياتك، لكنك تعرف بعض ما ينتظرك اليوم. قد يكون حقاً تؤخره، أو خصومة تستطيع أن تخففها، أو صلاة تحتاج إلى المحافظة عليها. حين نتذكر الرجوع إلى الله، تظهر قيمة هذه الأعمال؛ ليست تفاصيل زائدة بجانب الاستعداد للآخرة، بل هي من الاستعداد لها.

٩٩ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث ٢٨٧٧، الرواية a؛ الأمر بحسن الظن بالله، من حديث جابر رضي الله عنه. المصدر

ما تصحبه إلى يومك

النفس التي نرجو لها الطمأنينة نتعلم أن تعود إلى ربها في أحوالها المختلفة. إذا أذنبت تابت، وإذا أنعم عليها شكرت، وإذا ابتليت طلبت العون وصبرت. ويظهر صدق ذلك في حقوق تؤديها وأذى تكفه وخير تبذله، مع رجاء المغفرة على ما يقع من نقص.

ليس أمامك أن تصلح عمرك كله في يوم واحد. أمامك أن تعرف الواجب الذي حضر وقته فتؤديه، وأن تبدأ بإصلاح ما تبين لك من خطأ، وأن تواصل التعلم. وقد تحمل في طريقك حزناً لم يذهب وحاجة لم تقض؛ تحملها إلى الله، وتأخذ بأسبابها، وتبقي لنعمه الحاضرة حقها من الشكر.

فطيب الحياة ينمو في هذه الصلة والعمل، بفضل الله ورحمته، وتظل تمام الراحة التي لا يشوبها ألم مرجوة في جنته. نسأله أن يهدينا إليه، وأن يثبت قلوبنا على دينه، وأن يجعل رجوعنا إليه رجوع نفس راضية مرضية.

كيف ندرّب النفس على الطمأنينة

ما الذي نتعلم أن نفعله

قد تغلق الكتاب وقد فهمت معنى التوكل، ثم يصل إليك خبر يقلقك، فتجد نفسك تعيد السؤال نفسه وتبحث عن ضمان لا يملكه أحد. وقد تقرأ عن العفو، ثم تسمع كلمة تستفزك، فتزد بما تندم عليه. بين فهم المعنى وحسن العمل به مساحة تحتاج إلى تدريب. تبدأ هذه المساحة من موقف تعرفه، وتتعلم فيه كيف تستعين بالله وتختار ما يصلح، ثم تراجع ما صنعت وتعاود المحاولة.

المقصود أن نتعلم الرجوع إلى الله في أحوالك، وأن يصير لهذا الرجوع أثر في قرارك ولسانك وأدائك الحقوق. قد تفعل ذلك ويبقى شيء من الخوف أو الحزن. لا تجعل زوال الشعور شرطاً لبدء العمل، ولا تجعل وجوده حكماً بأن تدريبك فشل. من كف أذاه وهو غاضب قد فعل خيراً، ومن أدى الأمانة وهو خائف قد ثبت على حق، ومن دعا ربه وهو حزين قد وجد كلاماً يحمل به حاجته إليه.

وبيان هذا المقصد يحفظ الصلة بعنوان الكتاب. نطلب طمأنينة تقوم على معرفة الله والثقة به والرجوع إلى أمره؛ وتظهر ثمرتها في

عيش تؤدي فيه الحقوق، وتستعمل النعم، ويطلب فيه الخير المباح. لا تملك التمارين أن تمنحك شهادة بأنك صرت من أهل النفس المطمئنة، ولا أن تضمن رخاء ظروفك. إنها تعينك على تحويل ما فهمته إلى عمل تقدر على وصفه ومراجعته.

اختر في البداية أمرًا واحدًا يتكرر ويؤثر في يومك: استعجال الرد حين تختلف، أو الاسترسال في مقارنة رزقك، أو تأخير حق تعرفه. قل مثلاً: «أريد أن أسمع السؤال كاملاً قبل أن أجيب». هذه بداية أوضح من قولك: «أريد أن أكون هادئاً دائماً». تستطيع أن تعرف هل سمعت أم قاطعت، أما الحكم على هدوئك كله فيجر وراءه أحوالاً كثيرة لا يجمعها موقف واحد.

الأيام والصفحات الآتية ترتيب مقترح للتعلم، يجوز أن تبطئ فيه أو تعيد بعضه. ليس لعدد الأيام فضل تعبدي مخصوص، ولا تزد أعداد الأذكار أو تغير أوقاتها من أجل ملء السجل. حافظ على ما ثبت من العبادة، واجعل الكتابة خادمة للعمل. والأمثلة التدريبية في هذا الفصل مواقف افتراضية، وليست أخباراً منسوبة إلى أشخاص بعينهم.

ونبدأ بمعنى نبوي يصل الرجاء بالمجاهدة. قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:

«أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفَدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ " مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لَا أُدْخِرُهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعْفِفْ يَغْفِرَ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يَصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يَغْنِهِ اللَّهُ، وَلَنْ تَعْطُوا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ "»^{١٠٠}

دلهم النبي صلى الله عليه وسلم على بذل النفس لما تطلبه من العفة والصبر، مع افتقارها إلى إعانة الله. لهذا تتدرب على الفعل الذي يدخل في قدرتنا: نكف كلمة، ونؤدي حقاً، ونطلب سبباً نافعاً، ثم نعود إذا تعثرنا. والمتابعة وسيلة تعين على هذا الاجتهاد؛ لا تجعل أيامها حداً لبلوغ منزلة أو موعداً لزوال الألم.

العمل مع موقف واحد

حين يضطرب يومك، قد تجتمع الواقعة وتفسيرك لها والخوف مما بعدها في عبارة واحدة: «كل شيء يفسد». ابدأ بفك هذه العبارة.

١٠٠ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، حديث ٦٤٧٠؛ متن الخبر بلفظه. يتصبر: يجاهد نفسه على الصبر ويطلبه. لا يختص الوعد بمدة تدريب أو جدول معين. المصدر

ماذا وقع مما تستطيع إثباته؟ ربما تأخر رد على رسالة، أو رفض طلب، أو قال قريب كلاماً ضايقك. اكتب الواقعة في جملة لا تتضمن حكماً على نيات الناس ولا تنبؤاً بالمستقبل. هذا التحديد يبين لك ما يحتاج إلى تصرف الآن.

ثم سمّ ما أضفته أنت إلى الواقعة. تأخر الرد شيء، واعتقادك أن صاحبه يحتقرك شيء آخر يحتاج إلى بينة. قد يصح بعض ما تخشاه وقد لا يصح؛ لا يلزمك إنكاره، ولكن يلزمك ألا تعامله معاملة الخبر المؤكد. اسأل: هل أحتاج إلى سؤال توضيحي، أم إلى معلومة من صاحب الشأن، أم إلى انتظار وقت مناسب؟ وقد تكون المعلومة غير متاحة، فتسمي ذلك جهلاً بالنتيجة بدل أن تملأه بالجزم.

بعد ذلك عيّن ما يخصك من الواجب أو التصرف النافع. إذا أخطأت فلك عمل يبدأ منك. وإذا وقع عليك أذى فلك أن تطلب رفعه بالوسيلة المشروعة. وإذا كان الأمر خارج قدرتك، فابحث عما بقي لك من سبب وعمن يستطيع مساعدتك. لا تنسب إلى نفسك مسؤولية كل ما جرى، ولا تعفها من الجزء الذي تستطيع إصلاحه.

هنا تستحضر المعنى الإيماني المتصل بالموقف. في الخوف من النتيجة تحتاج إلى اعتماد القلب على الله مع بذل السبب. وفي الذنب تحتاج إلى التوبة والرجاء. وفي الغضب تحتاج إلى كف

الظلم. اختر المعنى الذي يفسر ما ينبغي أن تفعله، ثم سل الله العون عليه. لا تجمع أسماء المعاني في قائمتك لمجرد كثرتها؛ يكفي معنى تفهم وجه الحاجة إليه.

حوّل هذا الفهم إلى خطوة محددة. بدل «سأصلح علاقتي بأخي» قل: «سأتصل به في وقت يناسبه، وأقر بالكلمة التي آذيته بها». وبدل «سأكف عن القلق على الرزق» قل: «سأراجع الطلب الذي أستطيع تقديمه، وأسأل عن المعلومة الناقصة». قد تبقى بعد هذه الخطوة مشكلات أخرى، لكنها لا تمنع أن تؤدي ما تبين لك اليوم.

وفي آخر الموقف راجع الفعل والنتيجة كلياً على حدة. هل فعلت ما اخترته؟ ماذا حدث بعده مما شاهدته؟ ربما أحسنت الاعتذار ولم يقبل صاحبك بعد؛ هذا يخبرك عن حدود ما تغير، ولا يجعل الاعتذار خطأ. وربما هدأ الخلاف لأنك تنازلت عن حق شخص آخر؛ لا يكفي هدوء المجلس للحكم بصلاح تصرفك. المراجعة تعود إلى الحق والعمل، ثم تنظر في الأثر الذي ظهر.

نموذج محلول عند الاختلاف

تخيل أنك وعدت أحد أهل بيتك بقضاء حاجة ثم نسيتها. قال لك عند عودتك: «لا أستطيع الاعتماد عليك». أمتك العبارة، وكدت ترد بسرد تقصيره القديم. لو كتبت في السجل «أهلي لا

يقدروني» لاتسع الموضوع حتى ضاع الخطأ الذي يمكن إصلاحه. الواقعة الأقرب هي أنك نسيت وعداً، وأن كلامه جاء جارحاً. يمكن النظر في الأمرين من غير أن يحو أحدهما الآخر.

ما يخصك أولاً هو الوعد الذي لم تؤده. تستطيع أن تقول: «وعدتك ونسيت، وقد عطلت حاجتك. سأقضيها في الوقت الذي أقدر عليه». إن لم تكن قادراً على قضائها، فاذكر ذلك بصدق وابحث معه عن بديل. ثم بين أثر عبارته حين يتاح كلام مفهوم: «أقبل أن تذكرني بخطئي، ويؤذيني أن يوصف كل ما أفعله بعدم الاعتماد». أنت تقر بالخطأ وتطلب كلاماً أعدل في الوقت نفسه.

الصلة بالطمأنينة هنا عملية. حين يكون همك إثبات أنك لا تخطئ، تصبح كل ملاحظة تهديداً لصورتك. وحين تطلب رضا الله وأداء الحق، تستطيع أن تعترف بجزء صحيح في النقد من غير أن تقبل كل اتهام. يتغير السؤال من «كيف أنتصر في هذا الحديث؟» إلى «ما الذي يلزمني إصلاحه، وكيف أحفظ لساني وحقوقي؟» ويبقى الطرف الآخر مسؤولاً عن كلامه.

يمكن أن تكون خلاصة هذا الموقف في السجل: الواقعة نسيان الحاجة؛ والاستجابة المعتادة هجوم مقابل؛ والعمل الجديد اعتذار محدد وتعيين موعد واقعي؛ وما بقي دون حل جرح العبارة وتأخر الثقة. وفي المحاولة التالية قد تضع تذكيراً عند الوعد أو تخبر

صاحبك مبكراً بأنك لن تستطيع. تصبح المراجعة وسيلة لتغيير ما يتكرر، لا مجرد إعادة وصف الخوصومة.

إذا لم تستطع إتمام الحوار من غير تخرج، فاطلب تأجيله إلى وقت معلوم، ثم عد إليه. لا تستخدم التأجيل عقوبة صامتة ولا وسيلة للهروب من الحق. وقد تحتاج بعض الخلافات إلى طرف أمين يساعد على الفهم والإصلاح. أما الأذى المستمر فلا يعالج بالزام المتضرر أن يكون أهدأ فقط؛ رفع الأذى وحفظ الحق جزء من العمل المطلوب.

نموذج محلول عند انتظار الرزق

لفترض أنك قدمت طلب عمل ولم يصلك جواب. بدأت تفحص الرسائل كل قليل، ثم انتقلت إلى مقارنة نفسك بمن تعرفهم. اجعل الواقعة محددة: قدم الطلب، ولم يصل جواب حتى الآن. أما قولك «لن أجد فرصة» فحكم على المستقبل لا تملكه. وقد يكون وراء الانتظار نقص يمكن تداركه، وقد لا يكون؛ تحتاج إلى معرفة ما يسمح به إجراء التقديم.

ما تستطيع فعله هو مراجعة اكتمال الطلب، أو الاستفسار في الوقت المناسب، أو البحث عن فرصة أخرى تلائم قدرتك. عين للعمل وقتاً يتسع له، ثم عد إلى ما ينتظرك من حق لأهلك أو عمل حاضر. المتابعة نافعة حين تأتي بمعلومة أو تستدرك نقصاً؛

فإذا لم نغيّر المعطيات، فاسأل قبل تكرارها: ما الذي سأفعله بهذه المراجعة الجديدة؟

التوكل في هذا المثال اعتماد على الله مع هذا السعي. تدعوه بالخير والرزق، ولا تجعل ثقّتك به متوقفة على قبول هذا الطلب بعينه. وقد يؤمّلك الرفض إن جاء؛ عندئذ تراجع ما يمكن تعلمه وتطلب باباً آخر. قولك إن النتيجة لم تتحقّق يصف الواقع، أما قولك إن الدعاء والعمل كلهما بلا قيمة فيتجاوز ما أثبتته هذا الواقع.

وفي السجل فرّق بين ثلاثة أمور: ما أنجزته، وما تعلمته، وما لم يتضح بعد. قد تنجز تحسين الطلب، وتتعلم مهارة تحتاج إليها، ويبقى القبول مجهولاً. هذه الكتابة لا تحل مشكلة الدخل بذاتها، لكنها تمنع ضياع السؤال العملي بين توقعات كثيرة. وإن احتجت إلى مشورة أو مساعدة في حاجتك، فطلبها من أسباب السعي؛ ليس عليك أن تحمل الأمر منفرداً لتثبت قوة توكلك.

كيف نتعلم من المواقف التي قرأناها

في قصة حكيم بن حزام رأيت توجيهاً محدداً أعقبه تغيير في الأخذ والسؤال. راجع الآن موقفاً نتطلع فيه إلى ما في أيدي الناس: هل حاجتك قائمة، أم أن المقارنة زادت طلبك؟ اكتب ما يلزمك فعلاً، واختر عملاً يحفظ كفايتك من غير تعد على حق أحد. لا

تنقل إلى نفسك اختياره الخاص بترك العطاء؛ خذ من القصة فهم أثر الحرص، واعرف حكم ما تحتاج إليه.

وفي موقف عمر مع عيينة رأيت الغضب ثم الوقوف عند التذكير بالقرآن. حين تدخل خلافاً، عين الكلمة أو الفعل الذي تحتاج إلى كفه قبل أن تجادل في بقية الموقف. وإذا ذكرك أحد بحق، فاستمع إلى نفس التذكير؛ لا تجعل ضيقك من صاحبه سبباً لرفض ما صح منه. ثم راجع بعد انتهاء الموقف: ما الذي منعت نفسك منه، وما الحق الذي ما زال يحتاج إلى أداء؟

وفي خبر ثابت البناني رأيت رجلاً يبين شكواه ويقبل عوناً مشروعاً. إذا أثقلت مرض أو حزن، سم حاجتك لمن يقدر على إعانتك: رفقة أو خدمة أو رعاية مختصة. قبول العون لا ينافي الصبر. وحين تكون أنت المعين، اسأل عما ينفع صاحبك قبل أن تفترض أنه يحتاج إلى مزيد من الكلام.

وفي خبر أبي عبد الرحمن السلمي رأيت أثر معنى علمه فداوم على العمل به. اختر مما تعلمت عملاً صغيراً ثابتاً يناسب قدرتك، وحدد له موضعاً من يومك. إذا تعثرت، راجع مقدار العمل ووقته وما يزاوجه، ثم عد إليه. غاية هذا التمرين أن يصحبك أثر العلم، لا أن تكثر الوعود على نفسك.

هذه تطبيقات تربوية نستفيد منها من دلالة المواقف؛ أما أحكام الوقائع وخصائص أصحابها فتبقى في حدودها التي عرفناها. نقرأ النص أولاً، ثم نسأل ما العمل الصحيح الذي يمكن أن يعيننا عليه في حالنا.

كيف تدخل العبادة في التدريب

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. وقد سبق في فصل الذكر بيان صلة القرآن بمعرفة الله ووعدته وأمره. حين تختار آية للتعلم، اقرأ معناها في التفسير الذي ترجع إليه، واسأل عن أمر محدد فيها: ما الذي تخبرني به عن ربي؟ وما الذي تأمرني به أو تنهاني عنه؟ ثم انظر في موضع يصح أن تعمل فيه بهذا الفهم.

مثلاً، حين نتأمل الأمر بأداء الأمانات، يمكن أن يظهر أمامك مال يجب رده، أو معلومة أثمنتك عليها صاحبها. دون العمل الذي تبين لك، ولا تبحث لكل آية عن رسالة خاصة تنبأ بما سيحدث لك غداً. وإذا لم يتضح وجه التطبيق، يكفي أن نتعلم المعنى ونسأل عما أشكل؛ لا نتكلف استنباطاً حتى تبدو الصفحة مكتملة.

وحين تقول ذكراً ثابتاً تعرف معناه، لاحظ ما يقتضيه من عبوديتك. الاستغفار يتصل برجاء المغفرة وترك الذنب، والحمد يتصل بالاعتراف بنعمة الله، وسؤال العون يصحب العمل الذي

تحتاج إليه. ليس المطلوب تسجيل مقدار انفعالك بعد كل ذكر. قد تذكر الله وقلبك مشتت، فتجاهد شرودك وتتعلم المعنى وتعود، دون أن تجعل هذا السجل سبباً لترك الذكر.

وفي الصلاة تعلمنا أن سؤال الهداية يخص ما نعتقده وما نفعله. إذا ظهر لك بعد الصلاة حق كنت تتجاهله، فاجعل له نصيباً من عملك. وقد تحتاج المحافظة على الصلاة إلى تعديل موعد أو ترتيب مهمة، كما تحتاج إلى صدق القصد. اختر عائقاً واقعياً تعرفه وابحث عن سبب يزيله، بدل أن تكتفي كل يوم بعبارة «أريد خشوعاً أكثر» دون أن تغير ما يشغلك.

لا تحمل النوافل على حساب حق واجب أو رعاية من يعتمد عليك. اجعل ما تختاره مناسباً لطاقتك وظروفك، وإذا أشكل عليك حكم العبادة في مرض أو سفر فاسأل عنه أهل العلم. نحن نتدرب على حسن القيام بما شرع الله، والتدرج في عمل نستطيع مواصلته؛ ولسنا نضع بجدولنا أحكاماً أو مقادير جديدة للعبادة.

حين يبقى الحزن أو يشتد الخوف

بعض المواقف لا يكفيها إصلاح إجراء أو محادثة قصيرة. فقد من تحب لا يصير حادثة صغيرة لأنك أحسنت كتابة السجل. وقد يظل الانتظار ثقیلاً بعدما بذلت ما تقدر عليه. هنا يتغير السؤال العملي: ما الذي أحتاج إليه اليوم حتى أقوم بما أستطيع، ومن

الذي يمكن أن يعينني؟ قد يكون العمل دعاء، أو طلب صحة، أو قضاء حاجة بقيت معلقة.

لا تطلب من نفسك أن تستخرج فائدة من كل ألم في اللحظة نفسها. يمكنك أن تكتب: «أنا حزين، ولم أفهم ما أحتاج إليه بعد». ثم تختار أمراً ممكناً، كإخبار شخص نثق به أنك تحتاج إلى من يسمعك. وما حفظته من العبادة والبر له قيمته، ولو لم تستطع أن تصف تغيراً في شعورك. راجع فصل الحزن إذا التبس عليك الجمع بين الدمع والصبر.

ولمن يرافق محزوناً تدريب مختلف: أن يسأل قبل أن ينصح، وأن يعرض مساعدة محددة، وألا يجعل سرعة عودة صاحبه إلى عاداته شرطاً لحسن إيمانه. إذا اعتذر عن الكلام، احترم ذلك واتفق معه على ما يحتاجه من عون. قد تكون خدمتك النافعة هذا اليوم ترتيب حاجة لا يرغب في شرحها لك.

والسجل الشخصي لا يقوم مقام الرعاية المتخصصة حين تحتاج إليها. إذا استمر الضيق وصار يعطل حياتك، فاطلب عوناً ملائماً من مختص، مع الاستعانة بالله وما يعينك من أهل الثقة.^{١٠١} لا

١٠١ منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، منصة الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، التعامل مع الضغوط؛ فقرتاً طلب المساعدة المتخصصة والالتزام بالعلاج. إرشاد صحي عام، وليس تأصيلاً لمفهوم الطمأنينة الشرعي. المصدر

تؤخر طلب العون حتى تنهي الأيام، ولا تستخدم نتيجة تمرين للحكم على تشخيص أو لإيقاف علاج. حدود هذا الفصل التربية والعمل اليومي، وفي الحياة حاجات تتطلب أهل اختصاصها.

كيف تلاحظ التقدم

الأقرب إلى المراجعة أن تختار شاهداً من سلوكك. كنت تقاطع قبل أن تفهم، فسمعت هذه المرة السؤال كاملاً. كنت تؤخر الاعتراف بالخطأ، فبادرت بإصلاحه. كنت تعيد التحقق من أمر لم يتغير، فبدلت ما يلزم ثم انتقلت إلى مسؤولية أخرى. هذه أوصاف لأعمال وقعت، ويمكن أن تكون أسباباً لخير في يومك، لكنها لا تقيس درجة إيمانك ولا تحكم بقبول العمل.

في كل صفحة مساحة صغيرة لثلاثة أشياء: ما واجهته، وما فعلته، وما تحتاج إليه لاحقاً. لا يلزم أن تملأها بتفاصيل طويلة. جملة صادقة عن موقف محدد أنفع للتعلم من صفحة تمدح فيها نفسك أو تدينها بإطلاق. وإذا لم يقع موقف يناسب تمرين اليوم، اكتب ذلك واختر تطبيقاً بسيطاً مناسباً، أو أعد تمريناً ما زلت تحتاجه.

وحين تراجع أسبوعك، ابحث عن نمط يتكرر. ربما يكثر تجريحك حين تعد بما لا تستطيع، فيكون مدخل الإصلاح تقليل الوعود. وربما تطول مقارنتك بعد متابعة حساب معين، فتراجع ما تعرض نفسك له. وقد تكون المشكلة غموض حق يحتاج إلى سؤال. لا

تكتف بوصف نفسك بأنك ضعيف الإرادة قبل أن تعرف السبب الذي تستطيع تغييره.

وقارن المواقف المتقاربة بقدر الإمكان. يوم مرضك ليس كيوم عافيتك، وخلاف يسير ليس تخبر مفجع. إذا قلت إنك أحسنت هذا الأسبوع فاذكر في أي شيء، وإذا قلت إنك تعثرت فعين العمل الذي لم تفعله والظرف الذي أحاط به. بهذه الدقة تبقى المراجعة عادلة، وتستطيع أن تختار خطوة تالية تناسب الواقع.

لا حاجة إلى درجة إجمالية تسمى «درجة الطمأنينة». يمكنك أن تلاحظ أنك حافظت على حق، أو طلبت عوناً، أو عدت بعد تقصير. أما المشاعر فتذكرها إن ساعدتك على فهم الموقف، دون أن تحول السجل إلى تفتيش مستمر في قلبك. المقصود أن تخرج من المراجعة بعمل أو معرفة أوضح، ثم تعيش يومك وتؤدي مسؤولياتك.

ما تفعله إذا تعثرت

قد تقرأ تمرين كف الغضب ثم تخطئ في اليوم نفسه. لا تمح الصفحة ولا تكتب أنك لم تنتفع بشيء. سم ما جرى وما يلزمك الآن: كلمة تؤذي تحتاج إلى اعتذار، أو حق لم يؤد يحتاج إلى أداء، أو إجراء ثبت أنه لم يعنك. التوبة والإصلاح حاضران في الطريق، وليس مكافأة لمن نجح في ملء كل الخانات.

ثم انظر إلى اللحظة التي أمكن أن يتغير عندها التصرف. هل احتجت إلى سؤال قبل الحكم؟ هل دخلت نقاشاً لا يتسع له الوقت؟ هل وعدت بما كنت تعلم أنك لن تفني به؟ اختر تعديلاً واحداً للمحاولة التالية. إعادة نية الإصلاح مع إبقاء سبب الخطأ نفسه قد تجعلك تعيد النتيجة نفسها؛ لذلك يحتاج صدقك إلى سبب عملي يعينه.

وإذا انقطعت عن المتابعة أياماً، فارجع إلى الصفحة المناسبة لحاجتك. ليس عليك أن تعوض كل سطر فات أو أن تعاقب نفسك بتكليف أثقل. أما واجب فات أو حق ضاع فله حكمه الذي تعرفه أو تسأل عنه؛ لا تخلط بين حكمه وبين صفحة اختيارية لم تكتبها. يجوز أن تمدد البرنامج، أو تقسم تمريناً على يومين، أو تكتفي بكتابة مختصرة.

وقد يصبح السجل نفسه عبئاً يبعدك عن العمل. عندئذ قلل الكتابة، وأبق الفعل الذي تعرف نفعه. يمكن أن تقول في آخر يومك: «الموقف كذا، وفعلت كذا، وغداً أحتاج إلى كذا». وإذا لم تقدر على الكتابة، تذكرها أو أخبر بها شخصاً أميناً تختاره، دون كشف أسرار غيرك أو تفاصيل لا يحتاج إليها.

الصحبة التي تعين على المراجعة

إن اخترت من يشاركك المتابعة، فاتفق معه على الغرض. تحتاج إلى من يسمع وصف الموقف ويساعدك على رؤية ما أغفلته، ويذكرك بما عليك برفق. لا تحتاج إلى مراقب يطالبك بإثبات طمأنينتك أو يقارن عبادتك بعبادة غيرك. اختر مقدار ما تشاركه، واحتفظ بما يخص الناس من أسرار خارج الحديث.

يمكن أن تسأله سؤالاً محدداً: «حين اختلفنا، هل سمعت حجتي قبل أن أرد؟» أو «هل صار الموعد الذي أعدك به أوضح؟» تفيدك الإجابة في تصحيح فعل ظاهر. وإذا خالفك فيما تعرفه حقاً، فاستمع إلى حجته وثبت، ولا تجعل رضا المتابع هو الهدف الذي ترجع إليه في كل قرار. ومن حقه أيضاً أن يعتذر عن دور لا يستطيع القيام به.

وقد يختار القارئ أن يتابع منفرداً، أو أن يستعين بمن يقرأ له الأسئلة. لا تتوقف البداية على امتلاك دفتر خاص أو شراء شيء. تستطيع استعمال هذه الصفحات أو ورقة عندك، والتصرف بنفسه أهم من شكل السجل. ومن ضاق وقته بسبب مرض أو رعاية أو عمل، فليختر من التمرين ما يدخل في واجبه الحاضر ويخفف عنه تشتت المطالب.

من القراءة إلى الأيام الآتية

ابدأ بالصفحتين التاليتين لتتعرف طريقة المتابعة وتكتب موقف البداية. ثم سر في الأيام على قدر استطاعتك. تمر الأيام الأولى بفهم الموقف والعبادة، ثم تنتقل إلى إصلاح الاستجابة والحقوق، ثم إلى النعم والقيود والعلاقات، وتنتهي بتثبيت ما تعلمته. أيام المراجعة جزء من التعلم؛ فيها تختار ما تستمر عليه وما تحتاج إلى تغييره.

ابدأ بما حضر، واسأل الله الهداية والثبات والقبول.

متابعة الطمأنينة في الحياة اليومية

ثلاثون يوماً للتطبيق والمراجعة

هذه متابعة لثلاثين يوماً تستطيع تمديدها بحسب حاجتك. كل يوم يتناول موقفاً أو عملاً، ومعه أسئلة قصيرة تراجع بها التطبيق. توجد مراجعة أوسع في الأيام السابع والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين، ثم مقارنة بالبداية وخطة للاستمرار.

اقرأ تمرين اليوم في وقت يناسبك، واختر تطبيقاً ممكناً في حياتك. وفي آخر يومك سجل ما وقع فعلاً؛ إن لم يحدث موقف يناسب التمرين فاذكر ذلك. يكفي في الإجابة وصف محدد، ويمكنك أن تكتب في دفتر مستقل إذا احتجت إلى مساحة أكبر.

عند كل يوم أرقام فصول ترجع إليها لقراءة المعنى ودليله. ليست الأيام بديلاً عن تلك الفصول، ولا تعد هذه المدة ببلوغ مقام أو زوال حزن. العمل الذي تقدر عليه، والحق الذي تؤديه، والرجوع بعد الخطأ أمور نتعلم متابعتها.

احفظ خصوصية سجلك وحقوق من تذكرهم فيه. شارك منه ما تحتاج إلى مراجعته مع شخص أمين تختاره. وإذا ضاق وقتك أو تعب، خفف الكتابة أو أعد اليوم الذي تحتاجه؛ أما الفرائض والحقوق فلها أحكامها التي لا يغيرها ترتيب البرنامج.

سجل البداية

تاريخ البدء

اختر موقفاً قريباً يتكرر ويؤثر في يومك. صفه بكلام يمكن فهمه دون معرفة حياتك كلها، ثم سمِّ استجابتك المعتادة وما تريد تغييره من فعلك. احتفظ بهذه الصفحة للمقارنة في اليوم التاسع والعشرين. لا تكتب حكماً عاماً على نفسك أو إيمانك؛ اكتب واقعة وعملاً وقدرة تحتاج إلى مراعاتها. ما الموقف الذي اخترته وكيف أتصرف فيه عادة؟

ما التغيير المحدد الذي أرجو أن أتعلمه؟

ما ظروفي وما العون الذي يمكن أن أحتاج إليه؟

اليوم ١

موقف أبدأ منه

التاريخ للمراجعة: الفصل ١، الفصل ٢

اختر موقفاً يتكرر في أيامك ويمكنك ملاحظة تصرفك فيه،
كاعتراض أحد أهلك أو تأخر جواب تنتظره. صف ما تفعله
عادة، ثم اختر تغييراً صغيراً يخدم حقاً تعرفه. قد يكون أن تسمع
قبل الرد، أو أن تسأل قبل الاتهام. لا تحاول إصلاح جميع
عاداتك اليوم. ابدأ مستعيناً بالله بما تستطيع، وانتبه إلى الفعل الذي
وقع، ولو بقي في نفسك ضيق. إن لم يقع الموقف، هيئ عبارتك أو
سببك العملي للمرة المقبلة.
ما الموقف وما استجابتي المعتادة؟

ما الفعل المحدد الذي اخترته؟

ماذا فعلت فعلاً أو هيأت لفعله؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢

الواقعة وما ظننته

التاريخ للمراجعة: الفصل ٣، الفصل ٢١

ارجع إلى موقف أقلقك اليوم. اكتب ما شاهدته أو سمعته، ثم عين ما استنتجته من عندك. مثلاً، عدم وصول جواب لا يثبت وحده رفض صاحبه لك. اسأل إن كان التثبت ممكناً ومناسباً، وتجنب اتهام النيات قبل البيان. المقصود أن تختار على علم بما لديك، وتترك ما جهلته دون جزم. إن تبين أن مخاوفك صحيحة، انتقل إلى التصرف المشروع الذي يحفظ الحق؛ فالتثبت لا يقتضي إنكار المشكلة.

ما الواقعة التي أستطيع إثباتها؟

ما الظن أو الاحتمال الذي أضفته؟

كيف ثبت أو تعاملت مع بقاء المجهول؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٣

معنى أستعين به

التاريخ للمراجعة: الفصل ٣، الفصل ٤، الفصل ١٠

اختر حاجة حاضرة، وارجع إلى فقرة من الكتاب تبين ما يعينك عليها من معرفة الله. إذا خفت ضياع جهدك، تذكر علمه بعملك؛ وإذا أذنبت، فارجع إلى ما تعلمته عن رحمته والتوبة إليه. اشرح المعنى بكلام واضح، ثم ادع الله واختر عملاً يوافقه. لا تستخرج من اسم أو آية وعداً خاصاً بموعد أو نتيجة لم يرد بها دليل. صلة المعرفة بالطمأنينة أن تعرف إلى من ترجع وكيف تعمل.

ما الحاجة التي أستعين بالله عليها؟

ما المعنى الذي فهمته ومن أين قرأته؟

ما الدعاء والعمل المناسبان لهذه الحاجة؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٤

عائق أمام واجب

التاريخ للمراجعة: الفصل ٦، الفصل ٢٢

راجع واجباً تعرف أنك تتأخر عنه، وحدد عائقاً تستطيع تغييره. قد تحتاج المحافظة على الصلاة إلى ترتيب موعد، وقد يحتاج أداء أمانة إلى تجهيزها قبل خروجك. اختر سبباً عملياً واحداً ونفذه، مع سؤال الله العون. لا تبدأ اليوم بزيادة أعمال كثيرة ثم تهمل ما وجب عليك. وإذا كنت لا تعرف حكم ما يلزمك في ظرفك، فاكتب سؤالاً محدداً لأهل العلم بدل بناء التدريب على حكم غير متحقق.

ما الواجب وما العائق الواقعي أمامه؟

أي سبب غيرته اليوم؟

ما الذي تحقق وما الذي يحتاج إلى سؤال؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٥

آية أفهمها وأعمل بها

التاريخ للمراجعة: الفصل ٥

اختر آية ورد شرحها في فصل الذكر والقرآن، أو آية تقرأ تفسيرها في مصدر موثوق تعرفه. اقرأ المعنى في سياقه، وحدد ما اتضح لك قبل البحث عن تطبيق. إذا ظهر عمل مناسب ليومك فافعله، كحفظ أمانة أو كف كلمة تؤذي. وإن بقي المعنى مشكلاً فالسؤال عنه عمل اليوم. لا تتكلف ربط الآية بحادثة خاصة، ولا تجعل كل خاطر يمر بك تفسيراً لها. ثم دوّن ما فهمته بدقة.

ما الآية ومرجع المعنى الذي قرأته؟

ما المعنى الذي فهمته أو السؤال الباقي؟

ما العمل الذي اتصل بهذا الفهم؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٦

ذكر أعرف معناه

التاريخ للمراجعة: الفصل ٥، الفصل ٦

اختر من أذكرك الثابتة ذكراً تريد أن تفهمه أكثر، وراجع معناه. حين تستغفر، انظر في تقصير تعلمه واستغفر الله واعمل على إصلاحه. وحين تحمده، سمّ نعمة تنتفع بها واحفظ حقها. التزم الألفاظ والأعداد والأوقات الثابتة حيث وردت؛ صفحة التدريب لا تضيف إليها مقداراً. لاحظ اتصال الذكر بعملك، ولا تطلب شعوراً معيناً بعده لتقرر قيمته. إذا شرد قلبك فعد إلى المعنى برفق وواصل ما شرع لك. ما الذكر الذي راجعت معناه؟

ما الذي يقتضيه في موقعي اليوم؟

كيف ظهر ذلك في عمل أو ترك أذى؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٧

مراجعة البداية

التاريخ للمراجعة: الفصل ١، الفصل ٢٢

اقرأ ما كتبت في الأيام الستة الماضية، أو راجع ما تذكره إن لم تكتب. اختر موقفاً اتضح فيه الفرق بين الواقعة وظنك، وعملاً استطعت فعله بعد أن حددته. ثم انظر إلى موضع بقي صعباً واسأل عن سببه القريب. لا تجمع لنفسك درجة ولا تقارن أيامك بأيام غيرك. احفظ ما نفعت، واختر تعديلاً واحداً للأسبوع التالي. إن كانت البداية أثقل من قدرتك، خفف الكتابة وأبقِ العمل الملائم.

ما شاهد التغير الذي أستطيع وصفه؟

أين تعثرت وما السبب الأقرب؟

ما الذي سأبته أو أعدله في الأسبوع التالي؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٨

كلمة أكف أذاها

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٨

انتبه اليوم للحظة تريد فيها الرد بكلمة جارحة. عين ما تريد قوله بحق، واحذف ما يقصد الإهانة أو استدعاء الأخطاء القديمة. يمكنك طلب وقت مناسب للكلام ثم العودة إليه. ليس عليك إسقاط حقك حتى تكف أذاك؛ قل طلبك بوضوح من غير تعدٍ. وإذا خرجت منك الإساءة، فانتقل إلى الاعتذار والإصلاح. سجل الفعل الذي استطعت ضبطه، ولا تجعل بقاء الغضب في نفسك يحو قيمة كف الظلم.

ما الذي استفزني وما حق في الموقف؟

ما العبارة التي قلتها أو امتنعت عنها؟

هل بقي أذى يحتاج إلى إصلاح مني؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٩

اعتذار له أثر

التاريخ للمراجعة: الفصل ٧، الفصل ١٩

اختر خطأ واضحاً صدر منك في حق شخص، وسمِّه من غير عبارة تحمل المعتذر إليه مسؤولية خطئك. بين ما ستصلحه مما تقدر عليه، ولا تعد بتغيير واسع تعرف أنك لن تفي به. قد يحتاج صاحبك إلى وقت، وقد لا يريد الحديث الآن؛ احترم ذلك مع أداء الحق الممكن. اطلب رضا الله في صدق الرجوع، ولا تجعل قبول الاعتذار الفوري شرطاً لفعلك. دوّن هل تغير شيء من السلوك بعد الكلام.

ما الخطأ الذي أتحمّل مسؤوليته؟

كيف اعتذرت وما الإصلاح الذي التزمت به؟

ما الذي نفذته وما الذي لم يُحل بعد؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١٠

حق أعيده إلى صاحبه

التاريخ للمراجعة: الفصل ٧، الفصل ١٥، الفصل ٢٣

راجع حقاً معلوماً تؤخره: مالأ، أو متاعاً، أو جواباً يحتاج إليه صاحبه، أو تصحيحاً لمعلومة أضرت. ابدأ بما تستطيع أداءه، وإن عجزت عن تمامه فبين حالك بصدق والبحث عن طريق مناسب. تجنب نشر تفاصيل تمس خصوصية الناس بحجة الاعتراف. وما أشكل عليك من حقوق أو طريقة ردها فاسأل عنه أهل العلم. المحاسبة النافعة هنا تنتهي بخطوة تحفظ الحق، بدل أن تبقى لوماً عاماً لنفسك.

ما الحق ولمن يجب أدائه؟

ما الذي أديته أو سعيت في أدائه؟

ما الباقي وما الخطوة التالية المناسبة؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١١

السعي والنتيجة

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٠، الفصل ١٤

اختر أمرًا تنتظر نتيجته، واكتب ما بقي لك من سبب نافع. أنجز هذا السبب أو عين له وقتًا ممكنًا، ثم سمّ الجزء الذي لا تملكه. ادع الله بالخير، وعد إلى مسؤولية حاضرة بدل محاولة ضمان ما لم يتضح. إذا احتاج الأمر إلى متابعة فحدد ما تبحث عنه فيها. الغرض أن يبقى سعيك متصلًا بما ينفع، وأن تتعلم اعتماد القلب على الله فيما تعجز عن التحكم فيه.

ما النتيجة التي ألتظرها؟

أي سبب نافع بذلته اليوم؟

ما الخارج عن قدرتي وكيف واصلت يومي؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١٢

قرار بما أعلمه

التاريخ للمراجعة: الفصل ٣، الفصل ١٠

في قرار يومي مناسب، احصر المعلومة التي تحتاج إليها فعلاً،
واسأل من يعرفها إن تيسر. فرّق بين نقص مؤثر يجب استدراكه
وبين رغبتك في ضمان كل احتمال. اتخذ ما تستطيع من سبب
مشروع، ولا تعد نفسك بنتيجة لم تثبت. وإن كان القرار كبير
الأثر أو خارج خبرتك، فطلب المشورة المتخصصة هو الخطوة
المناسبة. دوّن ما رجح اختيارك وما بقي مجهولاً، لتراجع القرار
لاحقاً بعدل دون ادعاء أنك كنت تعلم الغيب.

ما القرار وما المعلومة المؤثرة فيه؟

من سألت وما الذي رجح اختياري؟

ما الذي بقي مجهولاً أو استدعى التأجيل؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١٣

عمل لا ينتظر الثناء

التاريخ للمراجعة: الفصل ٩، الفصل ٢٠

اختر خدمة صغيرة نافعة تقع ضمن قدرتك وحقوقك، وافعلها ابتغاء وجه الله. قد يراك الناس وقد يشكرونك؛ المقصود مراجعة باعثك، لا تعمد إخفاء كل عمل أو قطع التعاون. إذا لم يأت الثناء، لاحظ هل أردت إبطال ما فعلت أو معاتبة المستفيد. جدّد قصدك واستمر فيما يصح. وإن كان لك أجر أو حق متفق عليه فاطلبه بوضوح؛ الإخلاص لا يحول الاستغلال إلى واجب عليك.

ما العمل ومن ينتفع به؟

ماذا أردت حين فعلته وما الذي راجعته؟

كيف تعاملت مع الثناء أو غيابه؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١٤

مراجعة الإصلاح

التاريخ للمراجعة: الفصل ٧، الفصل ٩، الفصل ١٨

راجع أيام الكلام والاعتذار والحقوق والسعي. اختر عملاً تم،
وحقاً بقي يحتاج إلى متابعة، وموقفاً التبس فيه عليك الحكم. أعط
كل واحد خطوته المناسبة: حفظ ما تم، وأداء ما بقي، والسؤال
عما جهلت. إذا لم يقبل أحد اعتذارك، فلا تكتب أن الإصلاح
كله فشل؛ صف ما فعلته وما لا يزال بيده. وإذا تحسن المزاج
وبقي الحق ضائعاً، فاجعل أدائه أولى من الاحتفال بتحسن
شعورك.

ما الإصلاح الذي تحقق فعلاً؟

ما الحق أو السؤال الذي لا يزال قائماً؟

ما أول عمل سأتابعه ولماذا؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١٥

حين أبدأ المقارنة

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٧

لاحظ شيئاً أثار رغبتك لأنه عند غيرك، ثم اسأل: هل هو حاجة أعرف نفعها، أم صار مطلوباً بعد النظر إلى صاحبه؟ لا تحرم نفسك كل طموح، لكن اخفص الحاجة والقدرة وما سيتأثر من حقوقك. إن وجدت متابعة معينة تزيد التشتت تخففها اليوم، وعد إلى نعمة أو عمل حاضر. القناعة هنا تعينك على حسن الاختيار؛ فلا تترك حقاً واجباً لك، ولا تجعل امتلاك غيرك حكماً بنقص حياتك كلها.

ما الذي قارنته وما الذي أثار المقارنة؟

ما حاجتي الحقيقية وما حدود قدرتي؟

أي اختيار اتخذته بعد هذه المراجعة؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١٦

نعمة أحسن استعمالها

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٦

اختر نعمة محددة تستعملها اليوم: علماً، أو وقتاً، أو مالاً، أو معونة نلتقاهها. احمده الله عليها، ثم اجعل شكرها ظاهراً في استعمال يصح أو حق تؤديه. قد يكون ذلك تعليم ما تعرف، أو إنجاز حاجة أهلك، أو الاعتراف بفضل من أعانك. لا يلزم أن تسرد جميع النعم، ولا أن تنكر ما ينقصك. اجمع رؤية الخير الموجود مع السعي في إصلاح حاجتك، وسجل الفعل الذي اتصل بشكرك.

ما النعمة التي انتبهت إليها؟

كيف استعملتها أو أدت حقها؟

ما الحاجة الباقية دون أن تنسيني هذه النعمة؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١٧

أمانة في تفصيل صغير

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٥

انظر في معاملة أو عمل بينك وبين أحد: وصف شيء تباعه، أو موعد تسليم، أو معلومة يعتمد عليها زميل. هل يعرف الطرف الآخر ما يحتاج إلى معرفته؟ صحح غموضاً أو نقصاً تعلمه قبل أن يتحول إلى نزاع. وقد تتحمل بسبب الصدق كلفة أو تأخراً؛ اختر أداء الأمانة مع طلب رزق الله. لا تقيس نجاح هذا اليوم بمكسبه وحده، بل صف الحق الذي حفظته وكيف صار الاتفاق أوضح. ما التفصيل الذي تتعلق به بأمانة؟

ما البيان أو التصحيح الذي قدمته؟

ماذا حفظ هذا الفعل وما كلفني؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١٨

طلب واضح في البيت

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٩

اختر حاجة تتوقع من أحد أهلك أن يفهمها من غير بيان. عبّر عنها بطلب محدد وفي وقت مناسب، ثم اسمع ما يستطيع فعله. تجنب تحويل عدم الفهم إلى اتهام بقلة المحبة. وإذا اتفقتما على أمر، فاجعلا الوقت والقدرة واضحين. وقد لا يصل الحديث إلى اتفاق كامل؛ يكفي أن تعرف موضع الخلاف دون إهانة. الإيمان الذي نتعلمه يظهر هنا في الصدق والوفاء والإنصاف مع أقرب الناس إليك.

ما الحاجة التي كنت أتركها للتخمين؟

كيف طلبتها وماذا فهمت من الطرف الآخر؟

ما الاتفاق الممكن أو الخلاف الذي بقي؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ١٩

إحسان يناسب الحاجة

التاريخ للمراجعة: الفصل ٢٠

فكر في شخص يمكن أن تنفعه اليوم، ثم تحقق من حاجته بقدر ما يحفظ خصوصيته. اعرض مساعدة محددة تستطيع الوفاء بها: قضاء حاجة، أو تعليم أمر، أو دلالة نافعة. لا تفترض أن ما تحب تقديمه هو ما يحتاجه بالضرورة. وإن اعتذر، فاقبل اعتذاره دون عتاب. راع حقوق من يعتمدون عليك قبل الزيادة في التطوع، واطلب القبول من الله دون أن تجعل شكر المستفيد شرطاً لقيمة خدمتك.

ما الحاجة التي عرفت وجودها؟

ما المساعدة الممكنة التي عرضتها أو قدمتها؟

هل وافقت حاجته وقدرتي وحقوق من حولي؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢٠

رفق مع الحزن

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٢

إن كنت محزوناً، اختر حاجة واحدة يمكنك طلب العون فيها أو عمل بر تقدر عليه. لا تجعل المطلوب التخلص من الحزن اليوم. وإن كنت تساند محزوناً، اسأله عما يحتاجه واعرض مساعدة محددة دون إلزام بالكلام. وإذا لم يكن في يومك حزن حاضر، راجع كيف ستصغي لمن يلجأ إليك واختر عبارة لا تحكم على إيمانه من دموعه. وفي كل حال دون الفعل الممكن، واترك مساحة لما لم تستطع شرحه.

هل أحتاج إلى العون أم أقدمه اليوم؟

ما الطلب أو الخدمة التي استطعت فعلها؟

ما الذي بقي مؤلماً وأحتاج معه إلى رفق؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢١

مراجعة خير اليوم

التاريخ للمراجعة: الفصل ٢، الفصل ١٦، الفصل ١٩

اقرأ صفحات المقارنة والشكر والأمانة والبيت والإحسان والحزن. ابحث عن أثر محدد في حياتك أو حياة من حولك: اتفاق أوضح، أو حق محفوظ، أو مساعدة وصلت إلى صاحبها. ثم عين ما بقي ناقصاً دون أن يحو هذا الخير. الحياة الطيبة تتسع لهذه الأعمال مع بقاء حاجات لم تقض. لا تنسب كل تحسن إلى تمرين واحد، ولا تدع وجود صعوبة يمنعك من شكر نعمة تعرفها.

ما الخير الذي ظهر وله شاهد واضح؟

ما النقص الذي بقي ويحتاج إلى عمل؟

ما الاختيار الذي سأواصل به الجمع بينهما؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢٢

عمل بحسب القدرة

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٣، الفصل ٢٢

انظر إلى قدرتك اليوم كما هي، مع ما تحمله من عمل أو رعاية أو مرض. اختر عملاً نافعاً يناسبها ولا يضيع واجباً. إذا احتجت إلى مساعدة فحدد لها واطلبها، وإذا أشكل عليك حكم العبادة في حالك فاسأل أهل العلم. لا تجعل مقارنة يومك بيوم أقوى منه سبباً لترك ما تقدر عليه. ومن كان في عافية يمكنه أن يراجع وعداً أثقل نفسه به أو يعين من ضاقت قدرته.

ما حدود قدرتي ومسؤولياتي اليوم؟

ما العمل المناسب أو العون الذي طلبته؟

ما الذي خففته دون تضييع حق؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢٣

مراجعة وسيلة لم تنفع

التاريخ للمراجعة: الفصل ١١، الفصل ١٤

اختر مسعى طال ولم تظهر ثمرته كما رجوت. ابدأ بالمقصد: هل بقي صحيحاً ونافعاً؟ ثم راجع الوسيلة: هل تغيرت الظروف، أو احتجت إلى علم أو مشورة؟ لا تجعل طول التعب وحده حجة على مواصلة كل اختيار. وقد يكون الأنسب الصبر على الوسيلة بعد التثبت، أو تعديلها، أو ترك ما تبين ضرره. حافظ على رجاء فضل الله، وحدد ما ستفعله بناء على ما تعلمته دون وعد لنفسك بموعد الفرج.

ما المقصد وما الوسيلة التي أراجعها؟

ما المعلومة أو المشورة الجديدة؟

هل أستمّر أم أعدّل أم أتوقّف وما السبب؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢٤

خبر أتتحقق منه

التاريخ للمراجعة: الفصل ٢١، الفصل ٣

اختر خبراً أثار خوفك، واسأل عن مصدره وصلته الفعلية بما يلزمك. إن احتاج إلى تحقق فارجع إلى جهة تعرف موضوعه، ولا تنقله على أنه يقين قبل البيان. ثم حدد هل توجد خطوة نافعة الآن أم أن كثرة المتابعة تكرر المجهول نفسه. استعن بالله فيما تخشاه، وأد ما اتضح لك من مسؤولية. لا تُعرض نفسك لخطر حتى تختبر ثباتك؛ التدريب على حسن التصرف فيما يعرض لك بالفعل.

ما الخبر وما المصدر الذي ثبت منه؟

ما أثره الحقيقي في مسؤوليتي الآن؟

ما الفعل النافع الذي اتخذته أو سبب انتظاري؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢٥

العفو وحفظ الحق

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٨

راجع خلافاً مناسباً لهذا التمرين، وحدد ما تستطيع تركه من تعبير أو انتقام، وما يحتاج إلى حفظ من حق. قد تصفح عن إساءة وتحتاج مع ذلك إلى اتفاق يمنع تكرارها؛ عودة الثقة تتعلق بما يظهر من صدق وإصلاح. لا تلزم نفسك بمواجهة غير مأمونة أو بتنازل يضيع حق غيرك. اطلب مشورة أمينة فيما يلتبس، واجعل عمل اليوم كف أذى تقدر على كفه أو طلب حق بعبارة عادلة.

ما الذي أستطيع تركه من التعبير أو الانتقام؟

ما الحق أو الحد الذي يحتاج إلى حفظ؟

كيف تصرف وما الذي يحتاج إلى مشورة؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢٦

الرجوع بعد التعثر

التاريخ للمراجعة: الفصل ٧، الفصل ٨

اختر تعثراً معلوماً وقع أثناء المتابعة. سمّ الفعل دون أن تحول الخطأ إلى تعريف لشخصك كله. إن كان ذنباً فتب إلى الله وأصلح ما يلزمك، ثم ابحث عن سبب قريب يفتح لك العودة إليه. غير ما تستطيع من هذا السبب، واستعن بمن يعينك. أما صفحة لم تكتبها فليست ذنباً لمجرد فواتها. ارجع إلى العمل المناسب اليوم، مع رجاء المغفرة والقبول، دون تكليف إضافي تعاقب به نفسك.

ما التعثر الذي وقع وما الذي يلزمني بعده؟

ما السبب القريب الذي يمكن تغييره؟

ما خطوة الرجوع التي نفذتها اليوم؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢٧

سبب يعين على الدوام

التاريخ للمراجعة: الفصل ٢٢

اختر عملاً مشروعاً نافعاً أردت مواصلته، ثم هيئ له سبباً ثابتاً يناسب يومك. قد تحتاج إلى ترتيب أدواته، أو موعد ممكن، أو تذكير بحق يحين وقته. راع الأوقات والأعداد الشرعية حيث ثبتت، ولا تجعل ترتيبك الشخصي حكماً تعدياً. جرب السبب اليوم، وانظر هل سهل العمل أم زاد تكلفه. إذا ضاق وقتك فراجع ما تستطيع من التطوع، مع تقديم الفرائض والحقوق الواجبة على خطة اختيارية أثقلتك.

ما العمل الذي أريد أن أواصل عليه؟

ما السبب الذي هيأته ومتى استعملته؟

هل ناسب يومي وما التعديل الذي يحتاجه؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢٨

مراجعة الاستمرار

التاريخ للمراجعة: الفصل ١٠، الفصل ٢٢، الفصل ٢٣

راجع مواقف الأسبوع الأخير: قدرتك، ووسيلتك، والخبر الخيف، والخلاف، والتعثر، وسبب الدوام. اختر شيئاً تعلمت أن تتصرف فيه بدقة أكبر، وشيئاً لا يزال يحتاج إلى عون. لا تطلب من نفسك نهاية كاملة لكل موضوع. اسأل هل صرت تعرف أين تبدأ، ومتى تسأل، وما الذي يلزمك إصلاحه. اجمع ما نفعتك في قاعدة شخصية بسيطة تصف فعلاً واضحاً، وتجنب عبارات واسعة لا تعلم كيف تعمل بها.

ما الموقف الذي صار تصرفي فيه أوضح؟

ما الذي ما زلت أحتاج فيه إلى عون؟

ما القاعدة العملية التي سأحتفظ بها؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٢٩

العودة إلى موقف البداية

التاريخ للمراجعة: الفصل ١، الفصل ٢

ارجع إلى سجل البداية واليوم الأول، وقارنهما بموقف قريب وقع مؤخراً. صف اختلاف الفعل، إن وجد، ثم اذكر اختلاف الظروف حتى تكون المقارنة عادلة. ربما لم يتغير شعورك كثيراً لكنك حفظت لسانك، وربما تغير المزاج ولم تؤد الحق بعد. اعترف بكل واحد كما هو. وإن لم تجد موقفاً قريباً فلا تخترع نتيجة؛ حدد ما ستلاحظه حين يقع. اشكر الله على الخير، وعين ما بقي يحتاج إلى إصلاح.

ما الموقفان اللذان قارنت بينهما؟

ما الذي تغير في فعلي وما اختلاف الظروف؟

ما الخير الذي أشكره وما العمل الباقي؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف

اليوم ٣٠

خطة أواصل بها

التاريخ للمراجعة: الفصل ٢٢، الفصل ٢٤

اختر من التجربة عملاً واحداً عرفت نفعه، واجعل له سبباً تستطيع المحافظة عليه. عين موعداً شخصياً لمراجعة ما تفعل، واختر من تستعين به عند الحاجة. اكتب أيضاً كيف ستعود إذا انقطعت، حتى لا تصبح البداية التالية معلقة على حماسة جديدة. لا يلزمك إعادة البرنامج كله؛ عد إلى الصفحات التي تخدم حاجتك. وتنتهي هذه المتابعة بدعاء الله الثبات والقبول، وبعمل صالح تواصل به حياتك، لا بحكم نهائي على مقام نفسك. ما العمل الذي سأواصل عليه وما سببه المعين؟

متى أراجع ومن أستعين به عند الحاجة؟

إذا تعثرت فما أول خطوة أعود بها؟

حالة التطبيق: تم / جزئي / لم يتم / لم يقع الموقف